بيوت المتقين

نشرة شهرية تهتم بالشؤون الدينية لمرتادي المساجد والحسينيات

تصدر عن شعبة التبليغ في قسم الشؤون الدينية/وحدة المساجد والحسينيات/العدد ١٤ لشهر ذي القعدة سنة ١٤٣٥هـ

السنة الثانية

- مسجد التنعيم
- عمرة التمتع
- المؤمنون متواضعون

قسم الشؤون الدينية / شعبة التبليغ

المتقين بيوتهم

إقـــرأ في هذا العـــدد

- ❖ فضائل وكرامات: عليّ عليه السلام محطم الأصنام ٤
- ❖ وقفة فقهية: عمرة التمتع ٦
- ❖ تفسير القرآن: المؤمنون متواضعون ٨
- ❖ مساجدنا: مسجد التنعيم ١٠
- ❖ محاسن الكلم: المستأكل بعلمه والمباهي به ١٢
- ❖ عقائدنا: الكعبة المعظمة رمز التوحيد الخالص ١٤
- ❖ رجال حول الإمام: ربيب علي عليه السلام محمد بن أبي بكر (رضوان الله عليه) ١٦
- ❖ آداب إسلامية: آداب الحج إلى بيت الله الحرام ١٨
- ❖ مناسبات الشهر: مناسبات شهر ذي القعدة ٢٠
- ❖ فاعتبروا يا أولي الأبصار: الصدقة عن الأموات وأثرها ٢٢

قسم الشؤون الدينية / شعبة التبليغ
www.alataba.net/vb
www.imamali-a.com
tableegh@imamali.net

عليّ عليه السلام محطم الأصنام

عن عبد الجبار بن كثير التميمي اليماني قال: سمعت محمد بن حرب الهلالي أمير المدينة يقول: سألت جعفر بن محمد عليهما السلام فقلت له: يا ابن رسول الله في نفسي مسألة أريد أن أسألك عنها فقال: إن شئت أخبرتك بمسألتك قبل أن تسألني وإن شئت فسل، قال قلت له: يا ابن رسول الله وبأي شئ تعرف ما في نفسي قبل سؤالي عنه؟ قال: بالتوسم والتفرس أما سمعت قول الله عز وجل ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ الحجر: ٧٥ وقول رسول الله صلى الله عليه وآله «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله عز وجل»، قال: قلت له: يا بن رسول الله فأخبرني بمسألتي، قال: أردتَ أن تسألني عن رسول الله صلى الله عليه وآله لمَ لَمْ يطق حمله علي عليه السلام عند حَطِّ الأصنام من سطح الكعبة مع قوته وشدّته وما ظهر منه في قلع باب القموص بخيبر والرمي به إلى وراءه أربعين ذراعاً وكان لا يطيق حمله أربعون رجلاً، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يركب الناقة والفرس والبغلة والحمار، وركب البراق ليلة المعراج، وكل ذلك دون عليّ في القوة والشدّة، قال فقلت له: عن هذا والله أردتُ أن أسألك يا بن رسول الله فأخبرني، فقال: إن علياً عليه السلام برسول الله شرف وبه ارتفع وبه وصل إلى إطفاء نار الشرك وإبطال كُلِّ معبود دون الله عز وجل ولو علا النبي صلى الله عليه وآله لِحَطِّ الأصنام لكان عليه السلام بعلي مرتفعاً وشريفاً وواصلاً إلى حطّ الأصنام ولو كان ذلك كذلك لكان أفضل منه، ألا ترى أن علياً عليه السلام قال: لمّا علوت ظهر رسول الله صلى الله عليه وآله شرفت وارتفعت حتى لو شئت أن أنال السماء لنلتها، أما علمت أن المصباح هو الذي يهتدي به في الظلمة وانبعاث فرعه من أصله، وقد قال علي عليه السلام: «أنا من أحمد كالضوء من الضوء»، أما علمت أن محمداً وعلياً صلوات الله عليهما كانا نوراً بين يدي الله جل جلاله قبل خلق الخلق بألفي عام وأن الملائكة لمّا رأت ذلك النور رأت له أصلاً قد انشعب فيه شعاع لامع فقالت: إلهنا وسيدنا ما هذا النور؟ فأوحى الله عز وجل إليهم: هذا نور من نوري أصله نبوة وفرعه إمامة، أما النبوة فلمحمد عبدي ورسولي وأما الإمامة فلعلي حجتي ووليي ولولاهما ما خلقت خلقي، أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله رفع يد علي عليه السلام بغدير خم حتى

قال أمير المؤمنين عليه السلام: (كيف يستطيع الإخلاص من يغلبه الهوى؟)

نظر الناس إلى بياض إبطيهما فجعله مولى المسلمين، وإمامهم وقد احتمل صلى الله عليه وآله الحسن والحسين عليهما السلام يوم حظيرة بني النجار فلمّا قال له بعض أصحابه: ناولني أحدهما يا رسول الله قال صلى الله عليه وآله: نعم الراكبان وأبوهما خير منهما، وأنه صلى الله عليه وآله كان يصلّي بأصحابه فأطال سجدة من سجداته، فلما سلّم قيل له: يا رسول الله لقد أطلت هذه السجدة، فقال صلى الله عليه وآله: نعم إن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى ينزل، وإنما أراد صلى الله عليه وآله بذلك رفعهم وتشريفهم، فالنبي صلى الله عليه وآله رسول بني آدم وعلي عليه السلام إمام ليس بنبي ولا رسول فهو غير مطيق لحمل أثقال النبوة.

قال محمد بن حرب الهلالي: قلت له زدني يا ابن رسول الله فقال عليه السلام: إنك لأهل للزيادة، إن رسول الله صلى الله عليه وآله حمل علياً عليه السلام على ظهره يريد بذلك أنه أبو ولده وإمام الأئمة من صلبه كما حوّل ردائه في صلاة الاستسقاء وأراد أن يعلم أصحابه بذلك أنه قد تحول الجدب خصباً، قال: فقلت له زدني يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: احتمل رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام يريد بذلك أن يُعلم قومه أنه هو الذي يخفّف عن ظهر رسول الله صلى الله عليه وآله ما عليه من الدين والعِدات والأداء عنه من بعده، قال: فقلت له يا ابن رسول الله زدني فقال: إنه احتمله ليعلم بذلك أنه قد احتمله وما حمل إلا لأنه معصوم لا يحمل وزراً فتكون أفعاله عند الناس حكمة وصواباً وقد قال النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: يا علي إن الله تبارك وتعالى حمّلني ذنوب شيعتك ثم غفرها لي وذلك قوله عز وجل: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ الفتح: ٢، ولما أنزل الله تبارك وتعالى عليه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ المائدة: ١٠٤ قال النبي صلى الله عليه وآله: «يا أيها الناس عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم وعلي نفسي وأخي، أطيعوا علياً فإنه مطهّر معصوم لا يضلّ ولا يشقى»، ثم تلا هذه الآية: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ النور: ٥٣.

قال محمد بن حرب الهلالي: ثم قال جعفر بن محمد عليه السلام: أيها الأمير لو أخبرتك بما في حَمل النبي صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام عند حط الأصنام من سطح الكعبة من المعاني التي أرادها به لقُلتَ إن جعفر بن محمد لمجنون فحسبك من ذلك ما قد سمعته. فقمتُ إليه وقبلتُ رأسَه وقلت: الله أعلم حيث يجعل رسالته.

معاني الأخبار، الشيخ الصدوق قدس سره: ٣٥٠ - ٣٥٢.

عمرة التمتع

وفق فتاوى سماحة آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظله الوارف)

الحج وهو من ضروريات الدين والواجب منه مرة واحدة في العمر وتسمى حجة الإسلام، وينقسم إلى حج الإفراد وحج القران (وهما فرض من كانت المسافة بين منزله ومكة أقل من ستة عشر فرسخاً، أي: ما يقارب (٨٨كم) يتخير المكلف بينهما)، وحج التمتع (وهو فرض من كانت المسافة بين منزله ومكة أكثر من ستة عشر فرسخاً، أي: أكثر من (٨٨كم) تقريباً)، وحج التمتع هو الذي يهم الأعم الأغلب من الحجاج لذلك سنقتصر في الحديث عليه.

حج التمتع:

يتألف حج التمتع من عبادتين تسمى أولاهما (بالعمرة) أو(عمرة التمتع) وتسمى ثانيتهما (بالحج) أو (حج التمتع) ويجب في حج التمتع الإتيان بالعمرة قبل الحج.

أولاً: عمرة التمتع:

وتتألف من خمسة واجبات على الترتيب التالي:

الواجب الأول: الإحرام

يجب على المكلف أن يحرُم لأداء عمرة التمتع من (الميقات) أو أن (يحرُم بالنذر قبل الوصول إلى الميقات)، والمواقيت ـ جمع ميقات ـ هي مواقع حددتها الشريعة الإسلامية للإحرام منها.. ومن أشهر المواقيت (مسجد الشجرة) و(الجحفة).

مستحبات الإحرام:

وهي كثيرة نذكر منها:

١- أن ينظّف بدنه ويقلّم أظفاره ويزيل شعر أبطيه وعانته.

٢- أن يغتسل للإحرام ناوياً مع القربة والإخلاص كأن يقول: (أغتسل لإحرام عمرة التمتع لحج التمتع قربة إلى الله تعالى)، ويكفي القصد في النفس من دون حاجة إلى التلفظ.

٣- أن يكون الإحرام بعد الفريضة أو بعد الصلاة ست ركعات أو ركعتين.

واجبات الإحرام:

وهي ثلاثة:

١- لبس ثوبي الإحرام: وهما إزار ورداء وفق الطريقة المألوفة في لبسهما، والأحوط وجوبا أن يلبسهما الرجل قبل النية والتلبية، أما النساء فيمكنهن الإحرام بثيابهن العادية، ويجب قصد القربة في لبس ثوبي الإحرام كأن يقول: (ألبس ثياب إحرام عمرة التمتع لحج التمتع قربة إلى الله تعالى).

٢- النية: ويكفي فيها القصد في النفس مع القربة والإخلاص بلا حاجة إلى التلفظ، وإذا أراد المكلف التلفظ بالنية فيمكنه أن يقول: (أُحرم لعمرة التمتع لحج التمتع قربة إلى الله تعالى).

٣- التلبية مقارنة للنية: ويجزي فيها أن يقول: (لَبّيكَ اللّهمّ لَبّيكَ، لَبّيكَ لا شَريكَ لَكَ لَبّيكَ، إنَّ الحَمدَ والنِعمةَ لَكَ والمُلكَ لا شَريكَ لَكَ لَبّيكَ)، وعلى المكلف أن يؤديها على الوجه العربي الصحيح دون الملحون مع القدرة على الصحيح ولو بالتعلم، والواجب منها مرة واحدة، ويستحب تكرارها، ويقطعها عند مشاهدة موضع بيوت مكة القديمة.

محرمات الإحرام:

بعد الإحرام تحرم على الحاج عدة أمور تسمى محرمات الإحرام، وهي على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: المحرمات المشتركة بين الرجال والنساء: ١- الصيد البري، ٢- مجامعة النساء، ٣- تقبيل النساء، ٤- لمس المرأة أو حملها أو ضمها بشهوة، ٥- النظر إلى المرأة بشهوة وملاعبتها، ٦- الاستمناء، ٧- عقد النكاح، ٨- استعمال الطيب، ٩- الاكتحال، ١٠- النظر في المرآة للزينة، ١١- الفسوق (الكذب والسب والمفاخرة)، ١٢- الجدال (الحلف بالله)، ١٣- قتل هوامّ الجسد، ١٤- التزيّن، ١٥- الإدّهان، ١٦- إزالة الشعر عن البدن، ١٧- إخراج الدم من البدن، ١٨- تقليم الأظفار، ١٩- حمل السلاح، ٢٠- رمس الرأس في الماء.

القسم الثاني: المحرمات الخاصة بالرجال: ١- لبس المخيط أو ما بحكمه، ٢- لبس الخف والجورب، ٣- ستر الرأس، ٤-التظليل حال السير.

القسم الثالث: المحرمات الخاصة بالنساء: ١- ستر الوجه، ٢- لبس الكفوف.

الواجب الثاني: الطواف

شروط الطواف:

يشترط في الطواف أمور:

١- النية: بأن يقصد الطائف القربة مع الإخلاص، فيقول مثلا: (أطوف حول البيت سبعة أشواط لعمرة التمتع لحج التمتع قربة إلى الله تعالى)، ولا يشترط فيها التلفظ بل يكفي فيها القصد القلبي.

٢- الطهارة من الحدثين الأكبر والأصغر: والحدث الأكبر مثل الحيض والجنابة وأمثالها مما يحتاج معه إلى الغسل، والحدث الأصغر مثل البول والغائط وأمثالها مما يحتاج معه إلى وضوء، وينبغي أن يتأكد المكلف من صحة غسله ووضوئه وصلاته وأحكامها، وذلك بعرض كيفية أدائه لغسله ووضوئه وصلاته على من يثق بخبرته فيها ليضمن صحتها ودقة أدائه لها.

٣- طهارة الثوب والبدن من النجاسات.

٤- ستر العورة حال الطواف.

٥- الختان للرجال.

واجبات الطواف:

واجبات الطواف ثمانية هي:

١، ٢- الابتداء من الحجر الأسود والانتهاء به في كل شوط.

٣- جعل الكعبة على يساره في جميع أحوال الطواف، ولا حاجة للتدقيق في ذلك فإن النبي صلى الله عليه وآله كان يطوف حول البيت راكباً.

٤- أن يطوف الطائف خارج حجر إسماعيل عليه السلام دون أن يدخل فيه.

٥- أن يطوف الطائف خارج الكعبة وخارج الصُفّة التي في أطرافها والمسماة بـ (شاذروان الكعبة).

٦- أن يطوف حول الكعبة سبعة أشواط.

٧- أن يكون الطواف متوالياً عرفاً دون فصل كثير جداً بين أجزائه، ويستثنى من ذلك موارد ذكرتها الرسالة العملية لا مجال لذكرها هنا.

٨- أن تكون حركة الطائف حول الكعبة بإرادته واختياره حتى في الزحام الشديد، بمعنى أن لا يسلب الإرادة والاختيار بالمرّة أثناء طوافه.

الواجب الثالث: صلاة الطواف

إذا انتهى المُحرِم من طوافه قصد مقام إبراهيم عليه السلام ليؤدي صلاة الطواف من دون أن يفصل بين الطواف وصلاة الطواف بما يمنع من صدق التوالي بينهما عرفاً على الأحوط وجوباً.

كيفية صلاة الطواف:

صلاة الطواف ركعتان كصلاة الفجر ينوي فيها المصلي القربة الخالصة، كأن يقول: (أصلّي صلاة الطواف لعمرة التمتع لحج التمتع قربة إلى الله تعالى)، ولا يجب في النية التلفظ بل يكفي فيها القصد القلبي، ويتخير المصلي في صلاة الطواف بين الجهر والإخفات، والواجب أداء صلاة الطواف قريباً من مقام إبراهيم (ع) وفي الخلف منه.

و يجب أداء صلاة الطواف بصورة صحيحة فمن كان في قراءته لحن وكان متمكناً من تصحيحه وجب عليه ذلك، وأما من لم يتمكن من تصحيحه فتجزيه قراءته الملحونة إذا كان اللحن فيها قليلا.

الواجب الرابع: السعي بين الصفا والمروة

إذا انتهى المُحرم من صلاة الطواف يُستحب له أن يشرب من ماء زمزم ثم يتوجه إلى المسعى للقيام بالسعي ويستحب للساعي أن يسعى ماشياً بوقار حتى يأتي محل العلامة الخضراء الأولى فيهرول إلى محل العلامة الخضراء الثانية، ولا هرولة على النساء.

من أحكام السعي:

١ - يجب في السعي قصد القربة الخالصة، كأن يقول المُحرم: (أسعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط لعمرة التمتع لحج التمتع قربة إلى الله تعالى)، ولا يجب في النية التلفظ بل يكفي فيها القصد القلبي.

٢ - لا يشترط في السعي الطهارة من الحدث، ولا الطهارة من الخبث بأن لا يكون على بدنه

> لا يجوز الخروج من مكة بعد عمرة التمتع وقبل الحج إلا لحاجة مع عدم خوف فوات أعمال الحج

أو ثوبه شيء من الدم أو نحوه، وإن كان الأفضل رعاية الطهارة فيه.

٣ - السعي كالطواف سبعة أشواط يبتدئ الشوط الأول منه من الصفا وينتهي بالمروة ويبدأ الشوط الثاني من المروة وينتهي بالصفا، وهكذا إلى أن يتم السعي في الشوط السابع عند المروة.

٤ - يعتبر في السعي استيعاب تمام المسافة الواقعة بين جبل الصفا وجبل المروة، ولا يجب الصعود عليهما وإن كان ذلك أولى وأحوط استحباباً.

٥ - يجب استقبال المروة عند الذهاب إليها من الصفا كما يجب استقبال الصفا عند الرجوع إليه من المروة، ولا يضرّ الالتفات بصفحة الوجه إلى اليمين أو اليسار أو الخلف أثناء الذهاب أو الإياب.

٦ - الأحوط وجوباً أن لا يفصل الساعي بين أشواط السعي فصلاً طويلا كعشرة دقائق مثلاً، ذلك أنه يخلّ بالتوالي بين الأشواط عرفًا، ولا يضرّ جلوس المتعب على الصفا والمروة أثناء السعي للاستراحة، كما لا بأس بقطع السعي وقت الفريضة للصلاة ثم العودة إليه من موضع القطع بعد الفراغ من الصلاة.

٧ - يجوز تأخير السعي بعد الفراغ من الطواف وصلاته لعدة ساعات بل إلى الليل للاستراحة من التعب أو لتخفيف شدة الحر، وإن كان الأولى المبادرة إلى السعي بعد الطواف وصلاته، ولا يجوز تأخير السعي إلى الغد في حال الاختيار.

الواجب الخامس: التقصير

ويتحقق بأخذ شيء من شعر الرأس أو اللحية أو الشارب ولا يجوز الحلق بدلا عنه بل يحرم.

من أحكام التقصير:

١ - يجب في التقصير قصد القربة لله تعالى مع الخلوص، كأن يقول المُحرم: (أُقصّر للإحلال من عمرة التمتع لحج التمتع قربة إلى الله تعالى)، ولا يجب التلفظ بل يكفي القصد القلبي.

٢ - لا تجب المبادرة إلى التقصير بعد السعي مباشرة، ولا يجب التقصير في المسعى، بل يجوز التقصير في أي محل شاء سواء أكان ذلك في المسعى أم في الفندق أم في غيرهما.

٣- لا يجوز للمُحرم أن يُقصّر لمُحرم آخر إلا بعد أن يُقصّر لنفسه.

وبالتقصير تنتهي أعمال عمرة التمتع ولا يجب طواف النساء في عمرة التمتع، بل يجب في الحج والعمرة المفردة، وإذا قصّر الحاج حلّت له جميع محرمات الإحرام وبقيت عليه محرمات الحرم والتي منها :

١ - الصيد البري.

٢ - قطع أو قلع نبات الحرم وشجره.

٣- أخذ لقطة الحرم على كراهة.

ملاحظة هامة

لا يجوز الخروج من مكة بعد عمرة التمتع وقبل الحج إلا لحاجة مع عدم خوف فوات أعمال الحج.

كان حديثنا في الأعداد السابقة عن صفات المؤمنين التي ذكرتها سورة المؤمنين المباركة، وفي هذا العدد والأعداد القادمة سوف نتحدث ـ إن شاء الله تعالى ـ عن سلسلة أخرى من صفات المؤمنين، وهي التي ذُكرت في الآيات الأخيرة من سورة الفرقان المباركة حيث تستعرض بحثاً جامعاً فذاً حول الصفات الخاصة لعباد الرحمن، وتبيّن هذه الآيات بعض صفاتهم الخاصة، حيث يرتبط بعضها بالجوانب الاعتقادية، وبعضها بالجوانب الأخلاقية، وبعضها بالجوانب الاجتماعية، وبعض منها يتعلق بالفرد، وبعض آخر بالجماعة، وهي أولاً وآخراً مجموعة من أعلى القيم الإنسانية.

يقول تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً﴾ الفرقان:٦٣.

إن من جملة صفات: ـ عباد الرحمن ـ هو التواضع ونفي الكبر والغرور والتعالي، يقول أمير المؤمنين عليه السلام في وصفه للمؤمن: «...مَشْيُه التَّوَاضُعُ خَاضِعٌ لِرَبِّه بِطَاعَتِه رَاضٍ عَنْه فِي كُلِّ حَالاتِه...» الكافي ج٢ ص٢٣٠ ح١.

والتواضع حالة نفسية تظهر في جميع أعمال الإنسان حتى في طريقة المشي، لأن الملكات الأخلاقية تظهر في حنايا أعمال وأقوال وحركات الإنسان بحيث إن من الممكن تشخيص قسم مهم من أخلاقه ـ بدقة ـ من تصرفاته الخارجية ومنها أسلوب مشيته، كما في قول أمير المؤمنين عليه السلام: «ما أضمر أحد شيئاً إلا ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه» شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٨ ص١٣٧.

فالمؤمنون متواضعون، والتواضع مفتاح الإيمان، في حين يعتبر الغرور والكبر مفتاح الكفر.

وينبغي الإلتفات إلى أن (هَوْن) مصدر، وهو بمعنى الناعم والهادئ المتواضع، واستعمال المصدر في معنى إسم الفاعل هنا للتوكيد، يعني أنهم في ما هم عليه كأنهم عين الهدوء والتواضع.

نعم، هؤلاء المؤمنون، عباد ربهم الرحمن، من علامات عبوديتهم هو التواضع... التواضع الذي نفذ في جميع ذرات وجودهم، فهو ظاهر حتى في مشيتهم. الأمثل ج١١ ص٣٠٤-٣٠٦.

وليس معنى ﴿يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً﴾ أنهم يمشون متواتين منكّسي الرؤوس متداعي الأركان متهاوي البنيان، كما يفهم بعض الناس ممن يريدون إظهار التقوى والصلاح! فهذا رسول الله صلى الله عليه وآله كان إذا مشى تكفّأ تكفّؤاً وكان أحسن الناس مشية وأسكنها.. قال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا مشى تكفأ تكفؤاً كأنما ينحط من صبب» مستدرك الوسائل ج٨ ص٢٣٨.

حقيقة التواضع:

التواضع هو هيئة نفسانية توجب انكسار النفس و منع الإنسان من أن يرى لذاته مزيّة على الغير بل يتصور نفسه أذلّ من غيره وأخسّ رتبة منه، ثم الإذعان بهذا إذعاناً جازماً لا يشوبه شيء من الشكوك والأوهام، وتلزم ذلك أفعال وأقوال موجبة لاستعظام الغير وإكرامه، والمواظبة عليها أقوى معالجة لإزالة الكبر.

وأمير المؤمنين عليه السلام يصف المتواضع بقوله: «ويرى الناس كلهم خيراً منه، وأنه شرهم في نفسه، وهو تمام الأمر»، فالمؤمن يرى الناس كلهم خيراً منه، فمراتب القرب متفاوتة في الزيادة والنقصان، والمؤمن يحتمل أن يكون القرب واللطف في غيره أكمل فلذلك يراه خيراً منه.

وأيضا المؤمن لما فيه من التواضع والتذلل يرى (أنه شرهم في نفسه)، أي: إن المؤمن مبالغة منه في إهانة نفسه وعدم إكرامها يرى نفسه أنه شر الناس، لأنه عارف بعيوبه وعجزه وقصوره لا بعيوب غيره، وهذا الفعل منه ممدوح، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «طوبى لمن ذلّ نفسه». نهج البلاغة، أبواب الحكم ح ١٢٣، (وهو تمام الأمر) إذ به تحصل الاستكانة والتضرع والخضوع لله تعالى، والتعري عن لباس التكبر، والتوصل إلى الفناء في الله تعالى.

حد التواضع:

عن الحسن بن الجهم، قال: سألت الرضا عليه السلام فقلت له: «ما حد التواضع؟ قال: أن تعطي الناس من نفسك ما تحب أن يعطوك مثله» الأمالي للشيخ الصدوق ص٣١١ ح٣٦٠.

«قَالَ الرواي عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام: قُلْتُ له: مَا حَدُّ التَّوَاضُعِ الَّذِي إِذَا فَعَلَه الْعَبْدُ كَانَ مُتَوَاضِعاً؟ فَقَالَ: التَّوَاضُعُ دَرَجَاتٌ مِنْهَا أَنْ يَعْرِفَ الْمَرْءُ قَدْرَ نَفْسِه فَيُنْزِلَهَا مَنْزِلَتَهَا بِقَلْبٍ سَلِيمٍ لَا يُحِبُّ أَنْ يَأْتِيَ إِلَى أَحَدٍ إِلَّا مِثْلَ مَا يُؤْتَى إِلَيْه إِنْ رَأَى سَيِّئَةً دَرَأَهَا ـ أي دفعها ـ بِالْحَسَنَةِ كَاظِمُ الْغَيْظِ عَافٍ عَنِ النَّاسِ واللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» الكافي ج٢ ص١٢١ ح١٣.

أسباب التواضع:

وأما أسبابه: فهي معرفة عظمة الله وجلاله وكبريائه وقهره وغلبته على جميع المخلوقات ومعرفة نفسه وشدة احتياجه وافتقاره إلى الله تعالى في جميع الأحوال فهو كان في الأصل عدماً ولم يكن شيئاً مذكوراً، ثم خلقه الله سبحانه من تراب ثم من نطفة ثم بدّله من طور إلى طور، حتى جعله بشراً سوياً ثم نقله من صلب الرجل إلى رحم الأم ثم إلى رحم الدنيا

وربّاه صغيراً وكبيراً، ثم يميته ويقبره ويصيّره جيفة منتنة، فتبلى أعضاؤه وتتفرق أجزاؤه حتى يصير تراباً كما كان أول أمره ثم إذا شاء أنشره فيقوم من مرقده ناظراً إلى أحوال القيامة الموحشة، فإذا عرف هذه الأمور حق المعرفة علم أنه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً وأنه مضطر ذليلُ عبدُ مملوكٌ لا يقدر على شيء وأنه متلبس بالعجز والانكسار ومتصف بالمسكنة والافتقار وأنه بعيد عن الاتصاف بالبطر والكبرياء والفخر والخيلاء.

إن التواضع هو انكسار القلب للربّ جلّ وعلا وخفض الجناح والذل والرحمة للعباد، فلا يرى المتواضع له على أحد فضلاً ولا يرى له عند أحد حقاً، بل يرى الفضل للناس عليه، والحقوق لهم عليه، وكلما رأى إنسانا يقول: هو خير مني.. فشره ظاهر، وخيره باطن والبواطن مستورة علينا، فمن أين نعلم بواطن العباد؟ ولو فرضنا جدلاً أنك علمت باطن الشخص، ورأيت باطنه، ولكن من أين تعلم باطنك؟.. إن الذين يعرفون أنفسهم هم القلائل.. ولو عرفت باطنك وباطنه، ورأيت التميّز، وحكمت بتفوقك، فمن أين لك العلم بعواقب الأمور؟.. فأنت ترى الفعل، ولا ترى المستقبل، وعند ساعة الموت لا يعلم بم يُختم للإنسان.. فالمؤمن ليس له أي حكم على العباد، فيجب أن يحتمل أن هذا الإنسان على خير.

لوازم التواضع:

وأما لوازمه فهي كثيرة جداً لأن تلك الحقيقة إذ انبعثت من القلب وتمثلت في الأعضاء والجوارح تنبت منها أنواع الفضائل، منها العبادات القلبية والبدنية كالذكر والصوم والصلاة ونحوها، ومنها مجالسة الفقراء ومحبتهم ومؤاكلتهم وتقديمهم في الطرق والمجالس، ومنها لين القول وحسن المعاشرة والرفق بذوي الحاجات، ومنها الشكر عند حدوث النعمة ودفع النقمة، ومنها الابتداء بالسلام وترك المراء إلى غير ذلك.

مصاديق التواضع:

للتواضع مصاديق كثيرة ذُكرت في الروايات منها: ما ورد عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ الصادق عليه السلام قَالَ: «مِنَ التَّوَاضُعِ أَنْ تَرْضَى بِالْمَجْلِسِ دُونَ الْمَجْلِسِ وَأَنْ تُسَلِّمَ عَلَى مَنْ تَلْقَى وَأَنْ تَتْرُكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كُنْتَ مُحِقّاً وَأَنْ لَا تُحِبَّ أَنْ تُحْمَدَ عَلَى التَّقْوَى» الكافي ج٢ ص١٢١ ح٦.

ومنها: شرب سؤر المؤمن حيث يقول الإمام الرضا عليه السلام: «....من شرب من سؤر أخيه المؤمن يريد بذلك التواضع أدخله الله الجنة البتة...» مصادقة الأخوان، للشيخ الصدوق ص٥٢ ح١.

ومنها: السجود على الأرض كما جاء عن الإمام الصادق عليه السلام: «السجود على الأرض أفضل لأنه أبلغ في التواضع والخضوع لله عز وجل» من لا يحضره الفقيه ج١ ص٢٧٢ ح٨٤٣.

أنواع التواضع:

عرفنا إن من صفات عبد الرحمن أنه يعيش حالة التذلل، بمعنى حالة الذلة والشفقة في العباد فيما لا يؤوله إلى الوهن.. وعليه

> مِنَ التَّوَاضُعِ أَنْ تَرْضَى بِالْمَجْلِسِ دُونَ الْمَجْلِسِ وَأَنْ تُسَلِّمَ عَلَى مَنْ تَلْقَى وَأَنْ تَتْرُكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كُنْتَ مُحِقّاً وَأَنْ لَا تُحِبَّ أَنْ تُحْمَدَ عَلَى التَّقْوَى

فالتواضع نوعان..

١- محمود، وهو ترك التطاول على عباد الله والإزراء بهم.

٢- مذموم، وهو تواضع المرء لذي الدنيا رغبة في دنياه.

فتواضع المؤمن محمود، حيث إن منشأه ليس الخوف من الطرف المقابل، كتواضع المتملقين للأغنياء، أو تواضع الخائفين للجبارين.. فالمؤمن يلزمه مفارقة التواضع المذموم ولا يفارق التواضع المحمود في الأحوال كلها.

ولكن هنا نكتة يجدر ذكرها وهي أنه لابد في كل أمر من الاعتدال وعدم التفريط أو الإفراط، فإن من الواضح أن التواضع لكل أحد غير صحيح، فإن من الناس من ليس أهلا للتواضع والتكريم، فيكون التواضع له باعثاً لمهانة المتواضع ولغطرسة وسفه المتواضَع له، ولذلك لا يحسن التواضع للأنانيين والانتهازيين والمتعالين على الناس، لأن التواضع لمثل هؤلاء مدعاة للذل والهوان وتشجيع لهم للازدياد في عنجهيتهم وتكبرهم، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا رأيتم المتواضعين من أُمتي فتواضعوا لهم، وإذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم، فإن ذلك لهم مذلة وصغار» مجموعة ورام، ص٢٠٩.

وأجاد الشاعر المتنبي حين قال:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته
وان أنت أكرمت اللئيم تمردا

فضيلة التواضع:

ناهيك في فضله أن يوصي به المولى سبحانه وتعالى حبيبه محمد صلى الله عليه وآله ويأمره به حيث قال عز اسمه: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ سورة الشعراء: ٢١٥، ويعد المتواضعين بالجنة في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ القصص٨٣.

هذا وقد ورد عن نبينا صلى الله عليه وآله حديث شريف لو تأمله كل مسلم يحرص على الفوز بحب رسول الله صلى الله عليه وآله وقربه يوم القيامة لما ترك التواضع قط، ولحرص على أن تكون جميع حركاته وسكناته متصفة به حيث قال صلى الله عليه وآله: «إن أحبكم إليّ وأقربكم مني يوم القيامة مجلساً أحسنكم خلقاً وأشدكم تواضعاً» الوسائل ج١٥ ص٣٧٨ ح١٧.

ومن فضيلته أنه جمال العبادة وحلاوتها، فقد قال صلى الله عليه وآله لبعض أصحابه ذات مرة: «مالي لا أرى عليكم حلاوة العبادة قالوا: وما حلاوة العبادة؟ قال: التواضع» تنبيه الخواطر: ١/ ٢٠١.

ومن فضيلته أيضا أنه يوجب رفعة صاحبه عند الله تعالى، فقد ورد عن أبي عبد الله عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «..مَنْ تَوَاضَعَ لله رَفَعَه الله ومَنْ تَكَبَّرَ خَفَضَه الله...» الكافي ج٢ ص١٢١ ح٣.

مسجد التنعيم

مسجد التنعيم هو أحد المساجد التاريخية بمكة المكرمة، ويقع على حدود الحرم المكي في منطقة تسمى أدنى الحل، فهو أحد المواقيت، والمواقيت جمع ميقات، وهي أماكن حددتها الشريعة للإحرام منها، ويقع هذا المسجد في حي التنعيم شمال غربي مكة المكرمة، على طريق مكة – مدينة، وهو يمثل أدنى حدود الحرم وأقرب نقاط الحل عن البيت الحرام، إذ لا يبعد عن المسجد الحرام سوى ستة كيلومترات تقريباً.

وسمي هذا الحي بالتنعيم لأن الجبل المشرف من الجنوب الغربي على الحي يدعى (نعيم)، والجبل المقابل له من الشمال الشرقي يسمى (ناعم)، ولم يعد هذان الإسمان معروفين في الوقت الراهن.

ويطلق على هذا الحي إسم العمرة أيضاً لأن المؤمنين يُحرمون منه للعمرة المفردة، حيث سنَّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله الإحرام منه، فقد روي أن عائشة لما جاءت مع النبي صلى الله عليه وآله في حجة الوداع كانت حائض فأحرمت بحج الإفراد، ولما فرغت منه أمرها النبي صلى الله عليه وآله بالإحرام للعمرة المفردة من تلك المنطقة، حيث ينقل أن عائشة قالت: (... فخرجنا في حجته حتى قدمنا منى فطهرت ثم خرجت من منى فأفضت بالبيت ... قالت ثم خرجت معه (أي النبي صلى الله عليه وآله) في النفر الآخر حتى نزل المحصب ونزلنا معه فدعا عبد الرحمن بن أبي بكر فقال اخرج بأختك من الحرم فلتهّل بعمرة ثم لتطف بالبيت فإني أنتظركما ها هنا، قالت: فخرجنا فأهللت ثم طفت بالبيت وبالصفا والمروة فجئنا رسول الله صلى الله عليه وآله في منزله من جوف الليل، فقال فرغن؟ قلت: نعم، فآذن في أصحابه بالرحيل فخرج...)

لذلك يسمى هذا المسجد عائشة مضافاً إلى أسمائه الأخرى وهي مسجد التنعيم ومسجد العمرة.

وهنا نود الإشارة إلى أن الاعتناء بآثار الأمم شيء يفرضه العقل قبل غيره، ولكن في تاريخ الأمة الإسلامية نجد أن الكثير من الآثار المهمة قد أهملت، بل أزيلت تماماً وتحكمت الأهواء. فهنا لأن عائشة أحرمت من هذا المكان بني مسجد، بينما البيت الذي وُلد فيه رسول الله صلى الله عليه وآله، وكذا البيت الذي ضم أفضل خلق الله تعالى، وسيدة نساء العالمين عليها السلام وغيرها من الآثار أزيلت من الوجود، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

عمارة المسجد

شهد مسجد التنعيم مراحل عديدة لبنائه قبل أن يستقر على عمارته المميزة الحالية في الوقت الحاضر، فيقال أن أول من بناه هو محمد بن علي الشافعي ثم عمّره أبو العباس عبد الله بن محمد بن داوود أمير مكة، زمن الخليفة المتوكل بعد العام ٢٤٠هـ ثم انهدم حتى أصبح المعتمرة يصلّون ويهلّون بالعمرة من أرض جرداء ليس بها أي بناء يخرجون فقط خارج الأعلام التي تحدد حدود أدنى الحل ويحرمون منها.

ثم بني المسجد بعد ذلك وخضع للعديد من التطورات كان آخرها في عام ١٤٠٦هـ حيث شملت إعادة بناء المسجد وتوسعته

على مساحة قدرها (٣٠٠,٥م٢) ليستوعب أكثر من (٦٥٠٠) مصلٍ ويتميز المسجد عن سواه بالأبواب والنوافذ المرتفعة حيث شيّد على أحدث طراز معماري روعي فيه الأصالة والتاريخ ليمزج بين المعمار الإسلامي الحديث والزخارف الأثرية القديمة.

وعلى الرغم مما يشهده المسجد من حركة دؤوبة لا تنقطع ليلا ونهارا إلا أن خدمات المرافق التابعة له جيدة وتفي بحاجة رواده، وإلى جانب أماكن الوضوء والاغتسال المخصصة للجنسين هناك مسطحات خضراء يطل عليها المسجد وتحيط به، وقد زوّد المسجد من الجهة الشرقية بمراجيح وزلاجات للترفيه عن الأطفال الذين يأتون بمعية ذويهم.

ويحيط المسجد مجموعة من الأكشاك لبيع لوازم الإحرام وبيع المشروبات والوجبات السريعة، كما تصطف بباحة المسجد عشرات الحافلات لنقل الركاب جاعلة الوصول إلى المسجد ومغادرته يسيراً للغاية وفي أي وقت.

أدنى الحِلّ

إن المقصود بأدنى الحلّ: هو أقرب نقطة من خارج الحرم ـ وهو المعبر عنه بالحلّ ـ إلى البيت الحرام، ولهذا تعرف المنطقة التي تقع داخل حدود الحرم بـ (الحرم) لما لها من أحكام خاصة تقديساً لمكة المكرمة والتي منها حرمة الصيد، وحرمة قلع ما ينبت في الحرم أو قطعه وغير ذلك على تفصيل مذكور في الكتب الفقهية.

وتعرف المنطقة التي تقع خارج حدود الحرم بـ (الحلّ) لأن الله تعالى حلّل ممارسة ما حرم داخل الحدود.

وقد انعكس ذكر (الحل والحرم) في الشعر العربي، كما ورد في قول الفرزدق مادحاً الإمام علي بن الحسين (زين العابدين) عليه السلام فقال:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته
والبيتُ يعرفه والحلّ والحرمُ

وقد جعل الشارع المقدّس أدنى الحِلّ ميقاتاً للعمرة المفردة، وقد فُصّلت ثلاثة أماكن للإحرام منها على بقية أماكن أدنى الحِلّ وهي:

١ – الحديبية

١ – الحديبية.

٢ – الجعرانه.

٣ – التنعيم.

مكان صلب خبيب بن عدي

على مقربة نحو (٢٠٠) متر شمالي مسجد التنعيم بقرب الجبل قُتل خبيب بن عدي، أحد أسرى بعثة الرجيع سنة ٤هـ، وذلك لما أرسل النبي صلى الله عليه وآله نحو سبعة من أصحابه مع نفر من بني لحيان ليعلموهم أمور الدين، فلما بلغوا الرجيع قتلوهم وأسروا خبيب بن عدي وزيد بن الدنة وباعوهما لأهل مكة فقتلهم أبو سفيان.

مكة المكرمة والمدينة: ص١٤

في الصحاح يقال: فلان ذو أكل إذا كان ذا خطر من الدنيا ورزق واسع والمأكل الكسب، وفلان يستأكل الضعفاء أي يأخذ أموالهم، والمراد: (من يجعل العلم آلة لأكله أموال الناس ويتّخذه رأس مال يأكل منه ويتوسّع به في معاشه).

١- عَنْ أَبِي خَدِيجَةَ عَنْ أَبِي عَبْدِ الله الصادق عليه السلام قَالَ: «مَنْ أَرَادَ الْحَدِيثَ لِمَنْفَعَةِ الدُّنْيَا لَمْ يَكُنْ لَه فِي الآخِرَةِ نَصِيبٌ، ومَنْ أَرَادَ بِه خَيْرَ الآخِرَةِ أَعْطَاه الله خَيْرَ الدُّنْيَا والآخِرَةِ».

٢- عَنْ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ الله الصادق عليه السلام قَالَ: «مَنْ أَرَادَ الْحَدِيثَ لِمَنْفَعَةِ الدُّنْيَا لَمْ يَكُنْ لَه فِي الآخِرَةِ نَصِيبٌ».

٣- عَنْ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ الله الصادق عليه السلام قَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الْعَالِمَ مُحِبّاً لِدُنْيَاه فَاتَّهِمُوه عَلَى دِينِكُمْ فَإِنَّ كُلَّ مُحِبٍّ لِشَيْءٍ يَحُوطُ مَا أَحَبَّ، وقَالَ عليه السلام أَوْحَى الله إِلَى دَاوُدَ عليه السلام: لَا تَجْعَلْ بَيْنِي وبَيْنَكَ عَالِماً مَفْتُوناً بِالدُّنْيَا فَيَصُدَّكَ عَنْ طَرِيقِ مَحَبَّتِي فَإِنَّ أُولَئِكَ قُطَّاعُ طَرِيقِ عِبَادِيَ الْمُرِيدِينَ إِنَّ أَدْنَى مَا أَنَا صَانِعٌ بِهِمْ أَنْ أَنْزِعَ حَلَاوَةَ مُنَاجَاتِي عَنْ قُلُوبِهِمْ».

٤- عَنِ السَّكُونِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ الله الصادق عليه السلام قَالَ: «قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله: الْفُقَهَاءُ أُمَنَاءُ الرُّسُلِ مَا لَمْ يَدْخُلُوا فِي الدُّنْيَا، قِيلَ يَا رَسُولَ الله: ومَا دُخُولُهُمْ فِي الدُّنْيَا؟ قَالَ: اتِّبَاعُ السُّلْطَانِ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَاحْذَرُوهُمْ عَلَى دِينِكُمْ».

٥- عَنْ سُلَيْمِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ سَمِعْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله: «مَنْهُومَانِ لَا يَشْبَعَانِ طَالِبُ دُنْيَا وطَالِبُ عِلْمٍ، فَمَنِ اقْتَصَرَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى مَا أَحَلَّ الله لَه سَلِمَ ومَنْ تَنَاوَلَهَا مِنْ غَيْرِ حِلِّهَا هَلَكَ إِلَّا أَنْ يَتُوبَ أَوْ يُرَاجِعَ، ومَنْ أَخَذَ الْعِلْمَ مِنْ أَهْلِه وعَمِلَ بِعِلْمِه نَجَا ومَنْ أَرَادَ بِه الدُّنْيَا فَهِيَ حَظُّه».

قوله صلى الله عليه وآله: «مَنْهُومَانِ لَا يَشْبَعَانِ» المنهوم من النهم بالتحريك، وهو إفراط الشهوة في الطعام، وأن لا يمتلي من الأكل ولا يشبع، ونهِمٌ ونهيمٌ ومنهوم، أي به جوع شديد وشهوة مفرطة في الأكل لا من النهم بفتح النون وسكون الهاء، وهو بلوغ النهمة في الأمر والولوع به، لأنّ (لَا يَشْبَعَانِ) لا يناسبه كثيراً، والمراد بـ(المنهومان) طالب دنيا وطالب علم.

وقوله صلى الله عليه وآله: «طَالِبُ دُنْيَا» زائداً على قدر الحاجة والكفاف، ومنشأه الحرص على الدنيا وزخرفها وطول أمله في تحصيل ما يتصوّر منها وكمال محبّته لها بنفسها وذلك من الحرص المذموم، فهو منهوم لا يشبع ولا يقنع بما عنده فيطلب ويحرص ولا يقف عند حد أبدا، وهكذا دائماً إلى أن يموت جوعاً.

ثم قال صلى الله عليه وآله: «وطَالِبُ عِلْمٍ» لأنّ ساحة العلوم أوسع من أن يحول حولها عقول البشر، وشامخ المعارف أرفع من أن يطير فوقها طائر النظر، كما دلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ يوسف:٧٦، فكلّ من طلب العلم لتكميل النفس بما يمكن لها من الكمالات فهو منهوم لا يشبع بتناول مرتبة من مراتبه، بل كلّما حصلت له مرتبة من العلم يستعدّ للارتقاء إلى مرتبة أعلى، وهكذا دائماً إلى أن يتناول المرتبة التي هي غاية المراتب الممكنة له، ثمّ كلّ واحد منهما ينقسم إلى قسمين: أحدهما سالم ناج، والآخر خاسر هالك.

أمّا الأوّل: فلأنّه إن طلب الدنيا من الوجوه المشروعة فهو سالم وإن طلبها من غيرها فهو هالك، وإليهما أشار بقوله صلى الله عليه وآله: «فَمَنِ اقْتَصَرَ

مِنَ الدُّنْيَا عَلَى مَا أَحَلَّ اللهُ لَه سَلِمَ» أي من اقتصر من تحصيل الدنيا على طريق اكتساب ما أحلّه الله له سلم من آفات الدنيا وعقوبات الآخرة.

وأما الثاني: فعناه بقوله عليه السلام: «وَمَنْ تَنَاوَلَهَا مِنْ غَيْرِ حِلِّهَا هَلَكَ» أي من غير الطرق التي أحلّ الله له الاكتساب منها كالغصب والنهب والسرقة والكذب إلى غير ذلك من الطرق المذمومة فهو هالك، لاستحقاقه العقوبة والعذاب بخروجه عن طريق العدل في الاكتساب.

ثم قال عليه السلام: «إِلَّا أَنْ يَتُوبَ» إلى الله تعالى بالندم على ما فعل، والعزم على عدم العود إلى مثله، فإنّه تعالى يقبل التوبة عن عباده وينجيهم من الهلاك إن وقع الظلم في حقّه.

«أَوْ يُرَاجِعَ» من ظلمه ويرضيه إن وقع الظلم في حقّ الناس، ويحتمل أن يكون الترديد من الراوي، ويبعد أن يكون (أو) بمعنى الواو للتفسير، وقيل: يراجع على البناء للمفعول يعني إلاّ أن يراجعه الله بفضله وينجيه من الهلاك بدون توبته بمجرّد التفضّل، أو على البناء للفاعل يعني إلاّ أن يراجع الله ذلك المتناول من غير الحلّ، ويكون كثير المراجعة إليه سبحانه بالطاعات وترك أكثر الكبائر من المعاصي، فيرجع الله عليه بفضله لاستحقاقه له بكثرة المراجعة إلى الله تعالى فينجيه من الهلاك.

ثم إن هنالك أمرا مهما وهو: أن طلب العلم لابد أن يؤخذ من مآخذه الصحيحة وأن يقصد بعمله التقرّب إلى الله تعالى وطلب علوّ الدرجة في الآخرة فذلك هو الناج، وأما إن كان طلبه للدنيا وآلة للرئاسة فيها وجمع زخارفها فهو هالك وإليها أشار بقوله عليه السلام: «وَمَنْ أَخَذَ الْعِلْمَ مِنْ أَهْلِه وعَمِلَ بِعِلْمِه نَجَا» يعني من أخذ العلم من أهل العلم وهو النبيّ والوصيّ وعمل بما يقتضيه علمه نجا من العقوبات الأُخروية ومن كلّ ما يمنعه من التقرّب إلى رب العباد، فإنّه حينئذ نور ساطع من ساحة القدس وضوء لامع من أُفق الحقّ ليس بينه وبين ما أعدّ الله للعلماء العاملين حجاب إلاّ هذه الحياة الفانية.

ثم قال عليه السلام: «وَمَنْ أَرَادَ بِه الدُّنْيَا فَهِيَ حَظُّه» يعني من أراد بعلمه -وإن أخذه من أهله- طلب الدنيا وجعله وسيلة إلى جمع زخارفها بالتقرّب من الجبارين والتعزّز عند الظالمين وجلب النفع من الفاسقين والتفوّق على العالمين فهي حظّه ونصيبه وثمرة علمه وماله في الآخرة من نصيب، لأنّ الزارع في الدنيا للدنيا يحصد زرعه فيها لا في الآخرة، ويدلّ على حكم هذين القسمين قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ (الشورى: ٢٠).

٦- عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ عَمَّنْ حَدَّثَه عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الباقر عليه السلام قَالَ: «مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُبَاهِيَ بِه الْعُلَمَاءَ أَوْ يُمَارِيَ بِه السُّفَهَاءَ أَوْ يَصْرِفَ بِه وُجُوه النَّاسِ إِلَيْه فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَه مِنَ النَّارِ إِنَّ الرِّئَاسَةَ لَا تَصْلُحُ إِلَّا لأَهْلِهَا».

قوله عليه السلام: «مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُبَاهِيَ بِه الْعُلَمَاء» أي ليفاخر به العلماء ويغلبهم ويتعظّم عليهم بمأثرة العلم ومكرمته.

ثم قال عليه السلام: «أَوْ يُمَارِيَ بِه السُّفَهَاءَ» أي يجادل به السفهاء، وينازع به الجهلاء الظاهرين في زي العلماء والعاجزين عن استعمال القوّة الفكرية على نحو ما ينبغي، وذلك ليقول العوام: إنّه عالم فاضل ماهر في العلم مبارز في المناظرة غالب في المباحثة، وإنّما ذكر عليه السلام مفاخرته بالنسبة إلى العلماء ومجادلته بالنسبة إلى السفهاء لأنّ العلماء يسكتون إذا بلغت المباحثة إلى حدّ المجادلة لعلمهم بقبحها، فتبقى له المفاخرة عليهم بالغلبة والاسكات، بخلاف السفهاء فإنّهم لا يبالون بالمجادلة ولا يعلمون قبح المناقشة والمنازعة، فيقولون كما يقول ولا يسكتون تحرّزاً عن الإلزام وإن قام بينهما القتال والجدال.

ثم قال عليه السلام: «أَوْ يَصْرِفَ بِه وُجُوه النَّاسِ إِلَيْه» طلباً للحكومة بينهم والرئاسة عليهم، وقصداً إلى الغلبة والاشتهار، وتحصيلاً للتفوّق والاعتبار.

ثم قال عليه السلام: «فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَه مِنَ النَّارِ» فليهيىء وليعدّ منزله من النار، يقال: تبوّأ منزلاً إذا هيّأه أو فلينزل منزله من النار، يقال أيضاً: بوّأه الله منزلاً أي أسكنه إيّاه، وتبوّأ منزلاً أي نزل فيه وسكنه، وفيه وعيد لمن طلب العلم للأغراض الدنيوية ومنافعها، وإنّما ذكر هذه الثلاثة لأنّ غيرها من الأغراض الفاسدة على تقدير تحقّقه يعود إليها، ثمّ أشار إلى التعليل للوعيد المذكور بقوله: «إِنَّ الرِّئَاسَةَ لَا تَصْلُحُ إِلَّا لأَهْلِهَا» وهم الفائزون بالنفوس القدسيّة، والعالمون بالقوانين الشرعية، والعاملون بالسياسات المدنية، والمتّصفون بالملكات العدلية، والآخذون بزمام نفوسهم وقواها في سبيل الحقّ على نحو ما تقتضيه البراهين الصحيحة العقلية والنقلية.

وبالجملة: إنّما تصلح الرئاسة لمن يكون: حكيماً عليماً شجاعاً عفيفاً سخيّاً عادلاً فهيماً ذكيّاً ثابتاً ساكناً متواضعاً رقيقاً رفيقاً سليماً صبوراً شكوراً قنوعاً ورعاً وقوراً حرّاً عفوّاً مؤثراً مسامحاً صديقاً وفيّاً شفيقاً مكافياً متودّداً متوكّلاً عابداً زاهداً موفياً محسناً بارّاً فائزاً بجميع أسباب الاتّصال بالحقّ، مجتنباً عن جميع أسباب الانقطاع عنه، فمن اتّصف بهذه الفضائل وانقطع عن أضدادها من الرذائل وقعت الألفة بين عقله ونفسه وقواه، فيصير كلّ ما فيه نوراً إلهيّاً، وتحصل لاجتماع هذه الأنوار هيئة نورانية يشاهد بها ما في عالم الملك والملكوت وينتظم بها نظام أحواله ويستحقّ الخلافة الإلهيّة والرئاسة البشرية في عباده وبلاده، ووجب عليهم الرجوع إليه في أمور الدين والدنيا وأخذ العلوم منه والتسليم لأمره ونهيه والإتباع لقوله وفعله، ومن لم يبلغ إلى هذه الدرجة ولم ينزل في هذه المنزلة والمرتبة وتقلّد أمر الرئاسة فهو من الجبت والطاغوت، حسبي الله ونعم الوكيل.

الكعبة المعظمة

رمز التوحيد الخالص

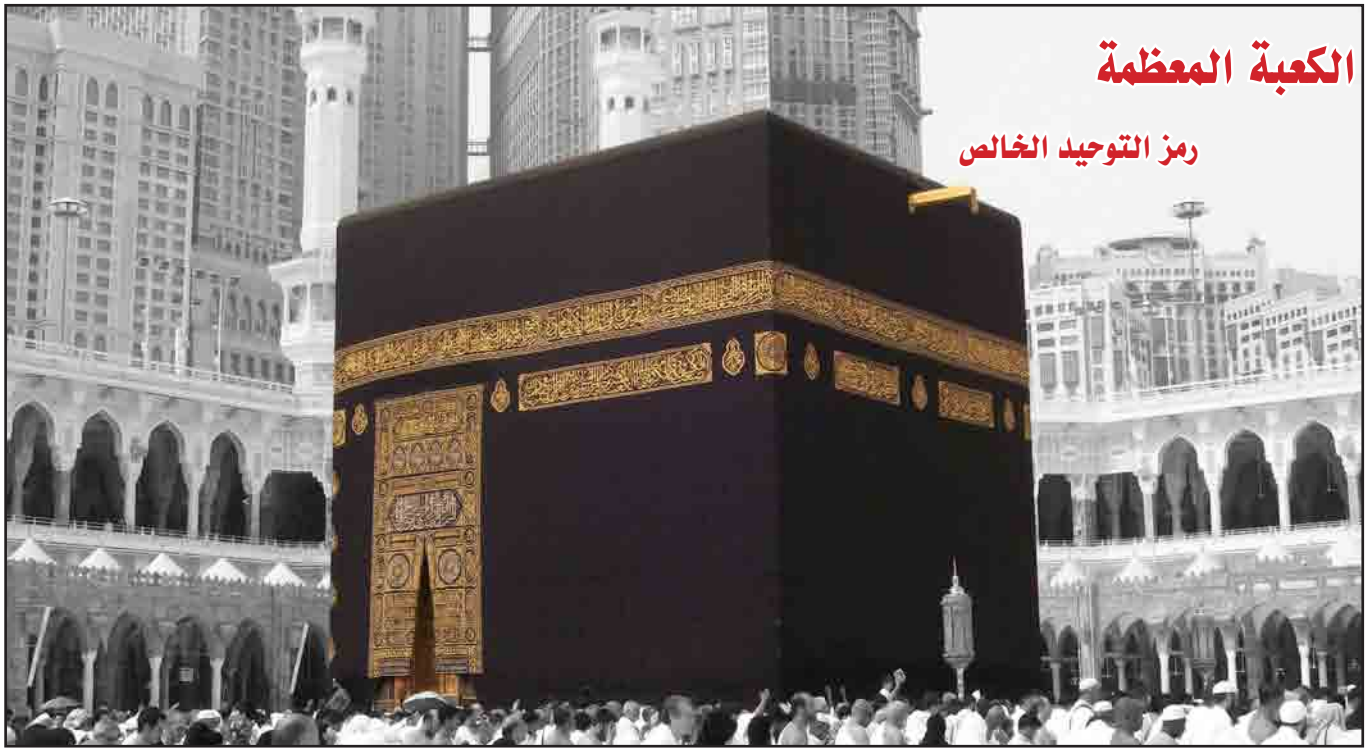

إن هذا البيت المبارك وهو الكعبة المطهرة، أمر بها إبراهيم عليه السلام كي تكون بيتاً خالصاً لعبادة الله عز وجل، تتجسّد فيه أجلى صور العبودية له، وأن تكون الأعمال المأتية فيه وفي بقعته المباركة أعمالاً بعيدة عن الشرك خالصة لله تبارك وتعالى يقول عز وجل: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ ...﴾الآية الحج٢٦.

فالكعبة المشرفة تمثل الوجود المادي الرمزي للتوحيد الخالص الذي جاء به الإسلام وجاء به إبراهيم عليه السلام الذي رفع قواعد هذا البيت و ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾الحج ٧٨، وبالتالي يمثل ـ بنحو الرمز ـ الوجود الإلهي على الأرض، ومن ثم انبثقت تسميته ببيت الله وأمر الإسلام بالتوجّه إليه في كل صلاة رمزاً للتوجه إلى الله نفسه إيماناً وعبادة، ومعه يكون من الطبيعي أن يكون قصد الكعبة من البلد البعيد والقريب، قصداً مادياً وقصداً معنوياً للتوحيد، ولدين الله العظيم، ويكون الدوران حول الكعبة بالطواف وجعلها مركز الإحساس المادي رمزاً حياً عن الدوران حول التوحيد، حول دين الله القويم والحق الصريح، وجعله مركز الإحساس المعنوي، ومركز النشاط الإنساني. والإنسان إذا دار مدار التوحيد الخالص وشريعة الله عز وجل في سلوكه وإحساسه، فإنه يكون حتماً الفرد الكامل العظيم الذي ينتهج المنهج العام للإسلام في تربية النفوس .. يقول محمد أسد المستشرق النمساوي المسلم، معرباً عن مثل هذا المعنى: إن الكعبة هي رمز وحدانية الله وحركة الحاج الجسمانية من حولها هي التعبير الرمزي للنشاط الإنساني ومضمونه، إن أفكارنا ومشاعرنا وكل ما يشمله تعبير ((الحياة الباطنية)) ليست هي وحدها التي يجب أن يكون محورها الله، بل كذلك حياتنا الخارجية الناشطة وأفعالها ومساعينا العملية.

فالطواف هو الرمز المادي للدوران حول فكرة التوحيد وجعلها المركز الأساسي لنشاط الإنسان وسلوكه، كذلك استلام الحجر الأسود هو الرمز المادي للاتصال بفكرة التوحيد وملامستها في عالم الفكر والمعنى، لأنه ملامس للكعبة وهي الرمز الذي يمثل الله في الأرض. وفي ذلك من المعنى الجليل في القرب الإلهي والتعمق في التوحيد ما لا يتوفر بأي عمل آخر ..

بيت التوبة

إنّ المستفاد من بعض الرّوايات أنّ البيت الحرام كان قبل آدم عليه السلام إذ أن هناك بيت يسمّى بيت الضّراح كانت تطوف به الملائكة، فلمّا هبط آدم إلى الأرض أُمر بالطواف بالبيت الحرام، فقد ورد عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ عليه السلام يَقُولُ: «كُنْتُ مَعَ أَبِي فِي الْحِجْرِ فَبَيْنَمَا هُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي إِذْ أَتَاه رَجُلٌ فَجَلَسَ إِلَيْه فَلَمَّا انْصَرَفَ سَلَّمَ عَلَيْه ثُمَّ قَالَ إِنِّي أَسْأَلُكَ عَنْ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا أَنْتَ وَرَجُلٌ آخَرُ قَالَ مَا هِيَ قَالَ أَخْبِرْنِي أَيَّ شَيْءٍ كَانَ سَبَبُ الطَّوَافِ بِهَذَا الْبَيْتِ فَقَالَ إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يَسْجُدُوا لِآدَمَ عليه السلام رَدُّوا عَلَيْه فَقَالُوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ فَغَضِبَ عَلَيْهِمْ ثُمَّ سَأَلُوه التَّوْبَةَ فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَطُوفُوا بِالضُّرَاحِ وَهُوَ الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ وَمَكَثُوا يَطُوفُونَ بِه سَبْعَ سِنِينَ وَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ مِمَّا قَالُوا ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَرَضِيَ عَنْهُمْ فَهَذَا كَانَ أَصْلُ الطَّوَافِ ثُمَّ جَعَلَ اللهُ الْبَيْتَ الْحَرَامَ حَذْوَ الضُّرَاحِ تَوْبَةً لِمَنْ أَذْنَبَ مِنْ بَنِي آدَمَ وَطَهُوراً لَهُمْ فَقَالَ صَدَقْتَ» الكافي ج٤ ص١٨٨ ح٢.

ويؤيد ذلك ما رواه الصّدوق عن بكير بن أعين عن أخيه زرارة، قال : «قلت لأبي عبد الله عليه السلام : جعلني الله فداك، أسألك في الحج منذ أربعين عاما فتفتيني، فقال: يا زرارة، بيت حج إليه قبل آدم بألفي عام تريد أن تفتي مسائله في

أربعين عاما» وسائل الشيعة ج١١ ص١٢ ح١٢.

أقدم مركز للعبادة

إن أول وأقدم مركز بُني على وجه الأرض لعبادة الله تعالى وهداية الناس هو الكعبة المشرفة التي رفع قواعدها ابراهيم عليه السلام، كما جاء في الآية المباركة: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ آل عمران٩٦، ومن المؤكد أن إقامة الأماكن العبادية لم تبدأ في زمن نبي الله إبراهيم عليه السلام بل كانت منذ خلق الإنسان على ظهر الأرض بدليل الآية الكريمة: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ البقرة١٢٧، فالقواعد التي رفعها إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام كانت موجودة منذ زمن آدم عليه السلام وجعلها الله تعالى بيته الحرام ثم أمره وولده أن يطوفوا حوله، فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله: بعث الله جبرئيل عليه السلام إلى آدم وحواء عليهما السلام، فقال لهما ابنيا لي بيتا فخط جبرئيل فجعل آدم يحفر وحواء تنقل، حتى أجابه الماء، ثم نودي من تحته: حسبك يا آدم، فلما بناه أوحى الله تعالى إليه أن يطوف به، وقيل له: أنت أول الناس، وهذا أول بيت، ثم تناسخت القرون حتى حجه نوح عليه السلام، ثم تناسخت القرون حتى رفع إبراهيم عليه السلام القواعد منه. كنز العمال ج١٢ ص٢١٣.

وهناك ما يؤيد ذلك من القرآن الكريم، فقد جاء على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ سورة إبراهيم٣٧، فبناء الكعبة سابق على مجيء إبراهيم عليه السلام مع زوجته وابنه الرضيع إلى مكة.

الكعبة والأصنام

بعد أن كان البيت قد أقيم لعبادة الله وحده لا شريك له، فلا بد أن تسقط من فوق الكعبة كل الأصنام، ويُطهّر من كل مظاهر الشرك و الوثنية والعبودية لغير الله سبحانه وتعالى ويبقى رمزاً صادقاً للتوحيد، فإذا كان هذا التطهير يتناول التطهر من القذارات، كالبول والدم والنجاسات الأخرى، فهو أظهر في التطهير من رجس الشيطان ورجس الشرك ونجسه، فرمزية ذلك البيت المبارك لتوحيد الله سبحانه وتعالى تقتضي أن يكون التعظيم كله لله سبحانه وتعالى ويخلو من تعظيم غيره.

لذلك ذكر المؤرخون في أن العهد الذي طغى فيه الشرك والكفر على معظم قبائل الجزيرة العربية ونُسي فيه دين إبراهيم عليه السلام تم استخدام الكعبة المعظمة كمركز لعبادة الأصنام والطقوس المتعلقة بذلك حتى أن داخلها كان مليئاً بالأصنام الرئيسية التي كان يقدسها العرب مثل هُبل واللات والعزى.

بقيت الكعبة على هذا الحال إلى أن فتح المسلمون مكة ودخل النبي محمد صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام الكعبة وتلفظ النبي محمد صلى الله عليه وآله بالآية التالية من سورة الإسراء الآية ٨١: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾، وبعدها حطم مع الإمام علي عليه السلام الأصنام الموجودة فيها وكان ذلك إشارة للناس أن الانتصار على الباطل ورموزه لا يكون إلا مع أهل البيت عليهم السلام.

أسماء البيت الحرام

للكعبة المُشرَّفة عدة أسماء تُعرَفُ بها، و هذه الأسماء وردت في القرآن الكريم والروايات نذكر بعضها:

١- الكعبة:

• قال الله عزّ و جلّ: ﴿جَعَلَ اللهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ المائدة٩٧.

٢- البيت:

• قال عزّ من قائل: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ آل عمران٩٦.

٣- البيت العتيق:

• قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ الحج٢٩.

عن أبي جعفر عليه السلام: «قلت له: لم سمي البيت العتيق؟ قال: هو بيت حر عتيق من الناس، لم يملكه أحد» الكافي: ج٤ ص١٨٩.

٤- البيت الحرام:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللهِ ... آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ المائدة٢.

وقال تعالى: ﴿جَعَلَ اللهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ المائدة٩٧.

ورد عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام لما سئل: لم سمي بيت الله الحرام؟ قال: «لأنه حرّم على المشركين أن يدخلوه» الوسائل: ج١٣ ص٢٣٦.

٥- بيت الله:

وصفت الكعبة بأنها بيت الله، وعبّرت الآية عن الكعبة بـ "بيتي" ﴿... وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ البقرة١٢٥.

٦- البيت المحرم:

قال جَلَّ جَلالُه: ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ إبراهيم٣٧.

بيت الأمان

لما كانت الكعبة مركزاً يتجه إليه الموحدون كل عام، فهي محل لعودة جسمية وروحية إلى التوحيد والفطرة الأولى، ومن هنا كانت مثابة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ وكلمة "مثابة" تتضمن معنى الراحة والاستقرار، لأن بيت الإنسان ـ وهو محل عودته الدائم ـ مكان للراحة والاستقرار، وهذا المعنى تؤكده كلمة "أمنا" التي تلي كلمة "مثابة" في الآية. وكلمة "للناس" توضح أنه ملجأ عام لكل العالمين، ولكل الشعوب المحرومة، وهذه الصفة للبيت هي في الحقيقة استجابة لأحد مطالب إبراهيم عليه السلام من ربه كما ورد في الآية المباركة: ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ إبراهيم٣٧.

والإسلام وضع الأحكام المشددة بشأن إبعاد هذه الأرض المقدسة عن كل نزاع واشتباك وحرب وإراقة دماء، وليس أفراد البشر آمنين هناك فحسب، بل الحيوانات والطيور آمنة أيضاً في هذه البقعة، ولا يحق لأحد أن يمسها بسوء، وفي عالم يعج دوما بالنزاع والصراع يستطيع مثل هذا المركز الآمن أن يكون له الأثر العميق في حل المشاكل وفض النزاعات.

إن الإنسان بفطرته السليمة النقية يميل إلى الحق وينكر الباطل حتى لو كان من يحمله أقرب الناس إليه وقد كان محمد بن أبي بكر مثالاً لهذه الفطرة السليمة والنقية وإحقاقها للحق رغم العديد من الظروف الصعبة التي يمر بها الإنسان وتجبره أحياناً على مسايرة الباطل حتى ولو كان على حساب إعلاء كلمة الحق.

اسمه وكنيته وولادته رضي الله عنه:

أبو القاسم، محمد بن أبي بكر عبد الله بن أبي قحافة التيمي (رضوان الله عليه)، ولد في المدينة (بذي الحليفة) في اليوم الخامس والعشرين من شهر ذي القعدة من السنة العاشرة للهجرة في اليوم الذي خرج فيه النبي صلى الله عليه وآله لحجة الوداع.

أمه:

السيّدة أسماء بنت عُميس الخثعمية، تزوّجها جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وهاجرت معه إلى الحبشة، وبعد استشهاده في معركة مؤتة تزوّجها أبو بكر، فولدت له محمداً في طريقهم إلى مكة في حجة الوداع، وبعد موته تزوّجها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فانتقلت إلى بيته مع ولدها محمّد الذي كان يومئذٍ ابن ثلاث سنين فنشأ تحت رعاية أمير المؤمنين عليه السلام.

نشأته وجوانب من حياته:

تربى ونشأ محمد بن أبي بكر في بيت علي عليه السلام كواحد من أولاده، ولذا لقب بربيب أمير المؤمنين. عدّه الشيخ المفيد رحمه الله من المجمعين على خلافة علي عليه السلام وإمامته بعد قتل عثمان، وكان من شرطة الخميس، ومن أمرائهم في الكوفة.

شهد مع أمير المؤمنين عليه السلام معركة صفين والجمل وكان فيها من قادة الجيش، ثم تولّى إعادة عائشة -باعتبارها أُخته- بعدما أمره الإمام بذلك قائلاً له: «شأنك بأختك، فلا يدنو منها أحد سواك» المناقب: ص١٨٩، وعندما أقبل الليل احتمل أخته عائشة بهودجها وأدخلها البصرة وأنزلها دار عبد الله بن خلف الخزاعي، ضيفة عند صفيةً بنت الحرث بن أبي طلحة، ثم أعادها بأمر من أمير المؤمنين عليه السلام إلى المدينة المنورة برفقة أربعين امرأة متنكرات بزيّ ثياب الرجال حرساً لها.

ولايته لمصر:

عيّنه الإمام علي عليه السلام والياً على مصر، بعد واليه الأول عليها قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري وجاء في كتابه عليه السلام إلى أهل مصر ما نصّه: «أحسنوا أهل مصر مؤازرة محمّد أميركم، واثبتوا على طاعتكم تردوا حوض نبيّكم صلى الله عليه وآله، أعاننا الله وإيّاكم على ما يرضيه» الأمالي: ص٢٦٩، وكان ذلك في اليوم الخامس عشر من شهر رمضان المبارك من عام ٣٧هـ.

وقد ورد في نهج البلاغة أن أمير المؤمنين عليه السلام أرسل إلى محمد بن أبي بكر بخصوص توليته على مصر كتاباً جاء فيه: «فَاخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ وَأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ وابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ وآسِ بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ والنَّظْرَةِ حَتَّى لا يَطْمَعَ الْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ لَهُمْ ولا يَيْأَسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يُسَائِلُكُمْ مَعْشَرَ عِبَادِهِ عَنِ الصَّغِيرَةِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ والْكَبِيرَةِ والظَّاهِرَةِ والْمَسْتُورَةِ فَإِنْ يُعَذِّبْ فَأَنْتُمْ أَظْلَمُ وإِنْ يَعْفُ فَهُوَ أَكْرَمُ ... واعْلَمْ يَا مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ أَنِّي قَدْ وَلَّيْتُكَ أَعْظَمَ أَجْنَادِي فِي نَفْسِي أَهْلَ مِصْرَ فَأَنْتَ مَحْقُوقٌ أَنْ تُخَالِفَ عَلَى نَفْسِكَ وأَنْ تُنَافِحَ عَنْ دِينِكَ ولَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ إِلا سَاعَةٌ مِنَ الدَّهْرِ ولا تُسْخِطِ اللهَ بِرِضَا أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ فَإِنَّ فِي اللهِ خَلَفاً مِنْ غَيْرِهِ ولَيْسَ مِنَ اللهِ خَلَفٌ فِي غَيْرِهِ صَلِّ الصَّلاةَ لِوَقْتِهَا الْمُؤَقَّتِ لَهَا ولا تُعَجِّلْ وَقْتَهَا لِفَرَاغٍ ولا تُؤَخِّرْهَا عَنْ وَقْتِهَا لاشْتِغَالٍ واعْلَمْ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ عَمَلِكَ تَبَعٌ لِصَلاتِكَ»

نهج البلاغة: ص٣٨٣، رقم٢٧.

من أولاده:

١- القاسم من ثقات أصحاب الإمامين زين العابدين والإمام الباقر عليهما السلام، (أحد فقهاء المدينة المتّفق على علمه وفقهه بين المسلمين)، وابنته أُمّ فروة فاطمة زوجة الإمام الباقر، وأُمّ الإمام الصادق عليهما السلام.

٢- جابر من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام.

من أقوال الأئمة عليهم السلام فيه:

١- قال الإمام علي عليه السلام: «محمّد ابني من صلب أبي بكر» بحار الأنوار: ج٤٢، ص١٦٢.

٢- قال الإمام الصادق عليه السلام: «كان عمّار بن ياسر، ومحمّد ابن أبي بكر، لا يرضيان أن يُعصى الله عزّ وجل» هامش وسائل الشيعة: ج٢٠، ص٣٠٨.

٣- قال الإمام الصادق عليه السلام: «ما من أهل بيت إلّا ومنهم نجيب من أنفسهم، وأنجب النجباء من أهل بيت سوء، منهم محمّد ابن أبي بكر» هامش وسائل الشيعة: ج٢٠، ص٣٠٨.

٤- قال الإمام الصادق عليه السلام: «فمحمّد بن أبي بكر أتته النجابة من قبل أُمّه أسماء بنت عُميس» الاختصاص: ص٧٠.

٥- قال الإمام الكاظم عليه السلام: «إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: أين حواريي محمد بن عبد الله رسول الله، الذين لم ينقضوا العهد ومضوا عليه؟ فيقوم سلمان والمقداد وأبو ذر، ثم ينادي: أين حواريي علي بن أبي طالب وصي محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فيقوم عمرو بن الحمق الخزاعي ومحمد بن أبي بكر وميثم بن يحيى التمار مولى بني أسد وأويس القرني» بحار الأنوار: ج٢٢، ص٣٤٢.

من أقوال العلماء فيه:

١- قال ابن أبي الحديد المعتزلي (ت:٦٥٦هـ): (كان محمّد من نسّاك قريش) شرح نهج البلاغة: ج٦.

٢- قال العلّامة الحلّي قدس سره: (جليل القدر، عظيم المنزلة، من خواص علي عليه السلام) خلاصة الأقوال: ص٢٣٦.

٣- قال الشيخ علي النمازي الشاهرودي قدس سره: (هو من حواريي أمير المؤمنين عليه السلام ومن خواصه، من الأصفياء ومن السابقين المقربين، جليل القدر، عظيم المنزلة، وهو أنجب النجباء من أهل بيت سوء أتته النجابة من قبل أمه أسماء بنت عميس...) مستدرك علم رجال الحديث: ج٦، ص٣٧٤.

استشهاده (رضوان الله عليه):

استشهد محمّد بن أبي بكر رضي الله عنه في الرابع عشر من صفر ٣٨هـ، وكان له من العمر ثمان وعشرون سنة، على يد معاوية بن حُدَيج الكندي عطشاناً، بأمر من معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص، وقد طلب أن يسقيه الماء فقال له معاوية: لا أسقاني الله إن سقيتك قطرة أبداً... والله لأقتلنّك يا ابن أبي بكر وأنت ظمآن، ويسقيك الله من الحميم والغسلين.

فقال له محمد: يا ابن اليهودية النسّاجة، ليس ذلك اليوم إليك...، إنما ذلك إلى الله يسقي أولياءه ويظمئ أعداءه، وهم أنت وقرناؤك ومَن تولاك وتولّيته، والله لو كان سيفي في يدي ما بلغتم مني ما بلغتم.

فقال له معاوية بن حديج: أتدري ما أصنع بك؟ أدخلك جوف هذا الحمار الميت ثم أحرقه عليك بالنار، وكان في المغارة جيفة حمار ميت.

قال: إن فعلتم ذلك بي فطالما فعلتم ذلك بأولياء الله، وأيم الله إني لأرجو أن يجعل الله هذه النار التي تخوفني بها برداً وسلاماً، كما جعلها الله على إبراهيم خليله، وأن يجعلها عليك وعلى أوليائك كما جعلها على نمرود وأوليائه، وإني لأرجو أن يحرقك الله وإمامك بنار تَلَظّى، كلّما خَبَتْ زادها الله عليكم سعيراً.

ثم غضب معاوية بن حديج، فقدّمه وضرب عنقه، ثم ألقاه في جوف حمار وأحرقه بالنار، فلمّا بلغ ذلك الخبر عائشة أخته، جزعت عليه جزعاً شديداً، وصارت تقنت في كلّ صلاة تدعو على (قاتليه) معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص ومعاوية بن حديج.

راجع بحار الأنوار: ج٣٣، ص٥٦١.

تجلّت ملامح تلك الشخصيّة الفذة في الحوار الذي جرى بين محمد وبين آسره، فلم يَهِنْ ولم يحزن، بل ظلّ شامخاً أبياً، حتى قتلوه، ودُفن في القاهرة، وقبره معروف يُزار.

وهذا دليل على أن لا قدسية للصحابة فيما بينهم وإنما هذا أمر (القداسة) ابتدعه المتأخرون لإضفاء الشرعية على كل ما يصدر منهم من أفعال وأقوال مخالفة لسنة النبي وأهل بيته عليهم السلام.

وفي مقابل حزن عائشة على أخيها، كانت فرحة ضرتها أم حبيبة بنت أبي سفيان أخت معاوية، فقد ابتكرت بكيدها أسلوباً للشماتة بمقتل محمد!

ففي الغارات للثقفي: ٢ ج٢، ص٧٥٧: (لما قتل ووصل خبره إلى المدينة مع مولاه سالم ومعه قميصه، ودخل به داره اجتمع رجال ونساء! فأمرت أم حبيبة بنت أبي سفيان زوج النبي صلى الله عليه وآله بكبش فشُوِيَ، وبعثت به إلى عائشة وقالت: هكذا قد شُوِيَ أخوك! فلم تأكل عائشة بعد ذلك شواء حتى ماتت!) ورواه الدميري في الحيوان: ١/ ٤٠٤.

وفي الغارات أيضاً: ١ ج١، ص٢٨٧: (حلفت عائشة لا تأكل شواءً أبداً، فما أكلت شواءً بعد مقتل محمد حتى لحقت بالله! وما عثرت قط إلا قالت: تعس معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص ومعاوية بن حديج).

إن المؤرخين ذكروا أن عائشة أقامت الدنيا وأقعدتها على عثمان وحرضت على قتله بل أفتت بكفره، لكن نجد عائشة لم تصنع ذلك ولم تُحرض على معاوية، كما فعلت مع عثمان، وما ذاك إلا لاشتراكهما بهدف واحد وهو عداوتهما لأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله.

تأبينه:

حسبه رضي الله عنه من الإكرام والتجليل ما أبّنه به الإمام علي عليه السلام وتلهّف عليه وتأسّف، وتشوّق إليه، وأثنى عليه، حيث قال: «فلقد كان إليّ حبيباً، وكان لي ربيباً» نهج البلاغة: ص٩٨، رقم٦٨، وقال: «فعند الله نحتسبه ولداً ناصحاً، وعاملاً كادحاً، وسيفاً قاطعاً، وركناً دافعاً» نهج البلاغة: ص٤٠٨، رقم٣٥.

ولقد حزن أمير المؤمنين عليه السلام عليه حتّى رؤي ذلك فيه، وتبيّن في وجهه، فقيل لأمير المؤمنين عليه السلام: «لقد جزعتَ على محمّد بن أبي بكر جزعاً شديداً يا أمير المؤمنين؟ قال: وما يمنعني! إنّه كان لي ربيباً، وكان لبنيّ أخاً، وكنت له والداً، أعدّه ولدا» بحار الأنوار: ج٣٣، ص٥٦٦.

ومن خلال كلام المعصوم والذي هو لا يحابي ولا يجامل ولا تأخذه في الله لومة لائم... نعرف قدر ومنزلة محمد بن أبي بكر وما له من الشأن العظيم والرفعة والدرجة.

آداب الحج إلى بيت الله الحرام

قال تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ الحج:٢٧.

لاشكّ في أنّ الحجّ هو أحد أكبر الفرائض الإسلامية، وأعظم شعائر الدين، وأفضل الأعمال التي يُراد بها التقرّب إلى الله تعالى، وهو ركنٌ من أركان الدين، وتركه ـ مع الاعتراف بثبوته ـ معصية كبيرة كما أن إنكار أصل الفريضة ـ إذا لم يكن مستنداً إلى شبهة ـ كفر.

والحج ذلك المؤتمر الإسلامي الكبير، والتظاهرة الإيمانية الرائعة التي تشترك فيها مختلف الفئات والطبقات، والقوميات في موعد واحد، وعلى أرض واحدة، يرددون هتافاً واحداً، ويمارسون شعاراً واحداً، ويتجهون لغاية واحدة، وهي الإعلان عن العبودية والولاء لله وحده، والتحرر من كل آثار الشرك والجاهلية، بطريقة جماعية، تؤثر في النفس، وتشبع المشاعر والأحاسيس بوحي من الإيمان، ومدالیل التوحيد.

والحج كما صرح القرآن الكريم، والأحاديث الشريفة إلى جانب كونه عبادة وتقرباً إلى الله سبحانه، فإن فيه منافع اجتماعية، وفوائد ثقافية، واقتصادية، وسياسية، وتربوية، تساهم في بناء المجتمع الإسلامي، وتزيد في وعيه وتوجيهه، وتساهم في حل مشاكله، وتنشيط مسيرته.

ففي الحج يشهد المسلمون أروع مظاهر المساواة، والتواضع، والأخوة الإنسانية، بإلغاء الفوارق والأزياء، وخلع أسباب الظهور الاجتماعي..، والظهور باللباس العبادي الموحد (لباس الإحرام)، حيث يحس الجميع بوحدة النوع الإنساني..، وبالأخوة والمساواة.

وفي الحج يستشعر المسلمون وحدة الأرض، ووحدة البشر، ويساهمون في عملية إسقاط الحدود التي صنعتها الأنانيات والأطماع البشرية والتي هي: الإقليمية، والقومية، والعنصرية...

وفي الحج إعداد وتربية لسلوك الفرد ونوازعه، ففي الحج يتعود الحاج الصبر، وتحمل المشاق، وحسن الخلق،... من اللطف، والتواضع، واللين وحسن المحادثة، والكرم والتعاطف، والامتناع عن: الكذب، والغيبة، والخصومة، والتكبر... الخ، وهكذا شاء الله أن يكون الحج محراباً للعبادة.. وموسماً للتربية والتوجيه، ومجالاً للمنفعة وتحقيق المصالح الاجتماعية للإنسان.

واعلم أن للحج وهو الركن الخامس من أركان الإسلام، آداباً كثيرة ينبغي لَمن عزم الحجّ أن يراعيها وأن يحرص عليها، حتّى يؤدّي نُسُكَه على الوجه المشروع، ويكون حجُّه مبروراً متقبّلاً، منها آداب قبل السّفر، وآداب أثناء السّفر، وآداب أثناء تأدية أعمال الحجّ.

آداب قبل السفر

وهي أمور كثيرة نذكر منها:

١ - **إخلاص النية:** فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله: «يأتي على الناس زمان يكون فيه حج الملوك نزهة، وحج الأغنياء تجارة، وحج المساكين مسألة» التهذيب، الشيخ الطوسي: ٥/ ٤٦٢ ح١٦١٣.

٢ - **تعلم المناسك:** كي يؤديها بشكل صحيح، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «تعلموا مناسككم فإنها من دينكم» الفردوس: ٣/ ٤٣.

٣ - **تطهير المال:** فعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا خرج الرجل حاجّاً بنفقةٍ طيبةٍ، ووضع رجله في الغرز (الغرز: ركابُ كُورِ الجمل إذا كان من جلدٍ أو خشب، وقيل: الركاب للسَّرج)

فنادى: لبيك اللهم لبيك ناداه منادٍ من السماء: لبيك وسعديك زادُك حلال وراحلتُك حلال، وحجُّك مبرور غير مأزور، وإذا خرج بالنفقة الخبيثة فوضع رجله في الغرز، فنادى: لبيك، ناداه منادٍ من السماء: لا لبيك ولا سعديك، زادُك حرام ونفقتك حرام، وحجك مأزور غير مبرور» من لا يحضره الفقيه: ج٢، هامش ص٢١٦.

٤- **إعلام إخوانه المؤمنين بالسفر:** فعن النبي صلى الله عليه وآله: «حق على المسلم إذا أراد سفراً أن يُعلم إخوانه وحق على إخوانه إذا قَدِم أن يأتوه» الوسائل: ٢/ ١٧٤.

٥- **الوصية عند الخروج:** خصوصاً بالحقوق الواجبة، ففي الخبر عن الإمام الصادق عليه السلام: «من ركب راحلته فليوصِ» الوسائل: ١١/ ٣٦٩.

٦- **التصدق بما تيسر:** عند افتتاح السفر ليشتري سلامته بها.

آداب أثناء السفر

١- **الدعاء عند الخروج للحج:** فعن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا خرجت من بيتك تريد الحج والعمرة إن شاء الله فادْعُ دعاء الفرج، وهو: (لا إلَهَ إلا اللهُ الحليمُ الكريمُ، لا إلهَ إلا اللهُ العليُّ العظيمُ، سبحانَ الله ربِّ السماواتِ السبْعِ، وربِّ الأرضينَ السبْعِ، وربِّ العرشِ العظيمِ، والحمدُ لله ربِّ العالمين)، ثمَّ قل: (اللَّهُمَّ كن لي جاراً من كُلِّ جبّارٍ عنيد، ومن كُلِّ شيطانٍ مريد)، ثم قل: (بسم الله دخلتُ، وبسم الله خرجتُ، وفي سبيل الله، اَللَّهُمَّ إنّي أُقدِّمُ بينَ يدي نسياني وعجلتي...إلخ)، فإذا جعلت رجلكَ في الركاب -أي عند التهيؤ لركوب وسيلة النقل من سيارة أو غيرها- فقل: (بسم الله الرحمن الرحيم، بسم الله والله أكبرُ)، فإذا استويت على راحلتك -أَي إذا استقر بك الجلوس في موضعك من واسطة النقل- واستوى بك محملك فقل: (الحمدُ لله الذي هدانا للإسلام، وعلَّمنا القُرآن، ومنَّ علينا بمحمّدٍ صلّى الله عليه وآله...)» راجع الكافي: ج٤، ص٢٨٤.

٢- **حُسْن الخُلق:** قال النبي صلى الله عليه وآله في سفر خرج فيه حاجّاً: «من كان سيّئ الخلق والجوار فلا يصحبنا» مكارم الأخلاق: ص٢٥١، وعن الإمام الباقر عليه السلام: «ما يعبؤ من يسلك هذا الطريق إذا لم يكن فيه ثلاثُ خصال: ورع يحجزه عن معاصي الله، وحِلْمٌ يملكُ به غضبَه، وحُسْن الصُّحبة لمن صَحِبه» الكافي: ج٤، ص٢٨٦.

٣- **إعانة الأصحاب:** قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أعان مؤمناً مسافراً نفّس الله عنه ثلاثاً وسبعين كربة، وأجاره في الدنيا والآخرة من الغم والهم، ونفّس عنه كربه العظيم يوم يغصّ الناس بأنفاسهم»، وفي خبر آخر «حيث يتشاغل الناس بأنفاسهم» الفقيه: ج٢، ص٢٩٣.

وقال إسماعيل الخثعميّ: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «إنّا إذا قدمنا مكّة ذهب أصحابنا يطوفون ويتركوني أحفظ متاعهم، قال: أنت أعظمهم أجراً» الكافي: ج٤، ص٥٤٥.

٤- **التحفظ على النفقة:** وعن صفوان الجمّال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «إنّ معي أهلي وأنا أُريدُ الحجّ، فأشدّ نفقتي في حَقوي؟ -الحَقو: الخَصرُ ومشدّ الإزار من الجنب- قال: نعم، فإنَّ أبي عليه السلام كان يقول: من قوّة المسافر حفظ نفقته» الفقيه: ج٢، ص٢٨٠.

آداب عند تأدية أعمال الحج

١- **المُقام بمكّة قبل الحجّ:** عن الإمام الصادق عليه السلام: «مُقام يوم قبل الحج أفضل من مُقام يومين بعد الحجّ» الفقيه: ج٢، ص٥٢٥.

٢- **الطواف نيابة عن الأئمة عليهم السلام:** عن موسى بن القاسم: «قلت لأبي جعفر الثاني الإمام الجواد عليه السلام قد أردت أنْ أطوف عنك وعن أبيك، فقيل لي: إنَّ الأوصياء لا يُطاف عنهم، فقال لي: بَل طُفْ ما أمكنك، فإن ذلك جائز».

٣- **إشراك الغير في ثواب الحجّ:** عن الإمام الصادق عليه السلام: «لو أشركت ألفاً في حجّتك لكان لكل واحد حجة، من غير أن تنقص حجّتك شيئاً» الكافي: ج٤، ص٣١٧.

٤- **التصدق:** عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «ينبغي للحاجّ، إذا قضى نسكه وأراد أن يخرج، أن يبتاع بدرهمٍ تمراً فيتصدق به، فيكون كفّارة لما لعلّه دخل عليه في حجّه من حكّ أو قملة سقطت أو نحو ذلك» الكافي: ج٤، ص٥٣٣، وعنه عليه السلام: «يُستحب للرجل والمرأة أن لا يخرجا من مكّة حتى يشتريا بدرهم تمراً فيصدّقا به، لما كان منهما في إحرامهما ولما كان في حرم الله عزّ وجلّ» الفقيه: ج٢، ص٤٨٣.

٥- **شراء الهديّة:** عن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا سافر أحدكم فقدم من سفره فليأت أهله بما تيسر ولو بحجر...» وسائل الشيعة: ج١١، ص٤٥٩، وعنه عليه السلام: «هديّة الحجّ من الحجّ» الكافي: ج٤، ص٢٨٠، وعنه عليه السلام: «الهدية من نفقة الحجّ» الكافي: ج٤، ص٢٨٠.

٦- **الختم بالمدينة:** عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «من زارني، أو زار أحداً من ذرّيتي، زرته يوم القيامة، فانقذته من أهوالها» كامل الزيارات: ص٤١.

وعن الإمام الصادق عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «مَن أتى مكة حاجاً ولم يزرني إلى المدينة جفوته يوم القيامة ومن أتاني زائراً وجبت له شفاعتي ومن وجبت له شفاعتي وجبت له الجنة» الكافي: ج٤، ص٥٤٨.

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا حجَّ أحدكم فليختم حجّه بزيارتنا، لأنَّ ذلك من تمام الحج» علل الشرايع: ج٢، ص٤٥٩.

٧- **التعجيل في الرجوع:** عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «إذا قضى أحدكم نسكه فليركب راحلته ويلحق بأهله فإن المقام بمكة يقسي القلب» علل الشرايع: ج٢، ص٤٤٦.

٨- **وداع البيت:** عن قثم بن كعب: قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «إنّك لتدمن الحجّ؟ قلت: أجل، قال: فليكن آخر عهدك بالبيت أن تضع يدك على الباب وتقول: (المِسكينُ عَلى بَابِكَ، فَتَصدَّقْ عَلَيه بِالجَنَّةِ)» الكافي: ج٤، ص٥٣٢.

وإنّ أبا عبد الله عليه السلام لمّا ودّعها وأراد أن يخرج من المسجد الحرام خرّ ساجداً عند باب المسجد طويلاً ثم قام فخرج. راجع الكافي: ج٤، ص٥٣٠.

٩- **ترك الذنوب:** فعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «آية قبول الحجّ ترك ما كان عليه العبد مقيماً من الذنوب» مستدرك الوسائل: ج١٠، ص١٦٥.

غزوة بدر الصغرى:

في الأول من شهر ذي القعدة سنة (٤هـ)، كانت غزوة بدر الصغرى، وتسمى أيضاً (بدر الموعد)، و(بدر الثالثة).

وذلك أن أبا سفيان لما أراد أن ينصرف يوم أحد نادى: الموعد بيننا وبينكم بدر الصغرى، رأس الحول نلتقي بها ونقتتل، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: نعم إن شاء الله، فافترق الناس على ذلك، وتهيأت قريش للخروج، فلما دنا الموعد كره أبو سفيان الخروج، وقدم نعيم بن مسعود الأشجعي مكة، فقال له أبو سفيان: إني قد واعدت محمداً وأصحابه أن نلتقي ببدر، وقد جاء ذلك الوقت، وهذا عام جدب وإنما يصلحنا عام خصب، وأكره أن يخرج محمد ولا أخرج فيتجرأ علينا، فنجعل لك فريضة يضمنها لك سهيل بن عمرو على أن تقدم المدينة وتعوقهم عن الخروج، فقدم المدينة وأخبرهم بجمع أبي سفيان وما معه من العدة والسلاح، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: والذي نفسي بيده لأخرجن وإن لم يخرج معي أحد، واستخلف على المدينة عبد الله بن رواحة، وحمل لواءه علي عليه السلام، وسار معه ١٥٠٠ مقاتل، وخرجوا ببضائع لهم وتجارات، وكانت بدر الصغرى مجتمعاً تجتمع فيه العرب، وسوقاً يقوم لهلال ذي القعدة إلى ثمان تخلو منه، ثم تتفرق الناس إلى بلادهم.

فانتهوا إلى بدر ليلة هلال ذي القعدة وقامت السوق صبيحة الهلال، فأقاموا بها ثمانية أيام.. وقد سمع الناس بمسيرهم، وخرج أبو سفيان من مكة في قريش وهم ٢٠٠٠ ومعه ٥٠ فرساً حتى انتهوا إلى مرّ الظهران، ثم ألقى الله في قلبه الرعب فبدا له الرجوع فقال: ارجعوا فإنه لا يصلحنا إلا عام خصب.. فسمى أهل مكة ذلك الجيش (جيش السويق)، يقولون خرجوا يشربون السويق.

فقال صفوان بن أمية: قد نهيتك أن تعد القوم، قد اجترؤوا علينا ورأونا قد أخفناهم. ولم يلق رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه أحداً من المشركين ببدر، ووافوا السوق، وكانت لهم تجارات فباعوها وأصابوا الدرهم درهمين، وانصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين.

خروج مسلم بن عقيل سفيراً عن الإمام الحسين عليه السلام لأهل الكوفة:

خرج مسلم بن عقيل عليه السلام من المدينة حاملاً رسالة الإمام الحسين عليه السلام إلى أهل الكوفة، والتي جاء فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن علي إلى الملأ من المؤمنين، أمّا بعد: فإنّ فلاناً وفلاناً قدما عليّ بكتبكم، وكانا آخر رسلكم، وفهمت مقالة جلّكم: أنّه ليس علينا إمام فأقبل، لعلّ الله يجمعنا بك على الحق، وإنّي باعث إليكم أخي، وابن عمّي، وثقتي من أهلي مسلم بن عقيل، فإن كتب إليّ أنّه قد اجتمع رأي ملئكم وذوي الحجا والفضل منكم على مثل ما قدمت به رسلكم، وقرأته في كتبكم، أقدم عليكم وشيكاً إن شاء الله تعالى»

الأخبار الطوال: ص٢٣٠.

وصل مسلم عليه السلام الكوفة، في التاسع من شوال سنة ٦٠هـ، فنزل في دار المختار بن أبي عبيدة الثقفي، وأقبلت الناس تبايعه، حتّى بايعه منهم ثمانية عشر ألفاً.

وما أن وصل الخبر إلى يزيد - بقدوم مسلم عليه السلام ومبايعة الشيعة للإمام الحسين عليه السلام- حتى كتب إلى عبيد الله بن زياد، يطلب منه أن يذهب إلى الكوفة، ليسيطر على الوضع فيها، ويقف أمام مسلم عليه السلام وتحرّكاته.

ولما وصل، أخذ يتهدّد ويتوعّد المعارضين والرافضين لحكومة يزيد، وقبض على هاني بن عروة وكل من يساند مسلم حتى انتشر الرعب في قلوب الناس فخذلوا مسلماً وتراجعوا عن بيعتهم إلى

أن استشهد مسلم عليه السلام في التاسع من ذي الحجّة سنة ٦٠ هـ، ودفن في الكوفة. فسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حياً.

خروج الإمام الرضا عليه السلام من المدينة إلى خراسان:

في الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة (٢٠٠هـ)، خرج الإمام الرضا عليه السلام من المدينة إلى مرو.

وكان المأمون بعث رجاء بن أبي الضحاك في إشخاص علي بن موسى عليه السلام من المدينة، وأمره أن يأخذ به على طريق البصرة والأهواز وفارس، وأن لا يأخذ به على طريق قم، وأمره أن يحفظه بنفسه في الليل والنهار حتى يقدم به عليه.

قال رجاء: فو الله ما رأيت رجلاً كان أتقى لله تعالى منه ولا أكثر ذكراً لله في جميع أوقاته... فلما وردت به على المأمون سألني عن حاله في طريقه، فأخبرته بما شاهدته منه في ليلة ونهارها وظعنه وإقامته، فقال لي: يا بن أبي الضحاك هذا خير أهل الأرض وأعلمهم وأعبدهم، فلا تخبر أحداً بما شاهدته منه، لئلا يظهر فضله إلاّ على لساني، وبالله أستعين على ما أقوى من الرفع منه والإساءة به.

وروي عن الإمام الرضا عليه السلام قال: «إني حيث أرادوا الخروج بي من المدينة، جمعت عيالي، فأمرتهم أن يبكوا عليّ حتى أسمع، ثم فرقت فيهم أثني عشر ألف دينار، ثم قلت: أما إني لا أرجع إلى عيالي أبداً»

الخرائج والجرائح: ج١، ص٣٣٦.

صلح الحديبية:

في شهر ذي القعدة سنة (٦هـ)، كان صلح الحديبية، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله خرج للعمرة في ١٦٠٠ رجل، وقيل في ١٥٠٠ أو ١٤٠٠، وساق معه ٧٠ بدنة، فصده المشركون عن الدخول إلى مكة، فأقام بالحديبية، وهي من مكة على ٩ أميال مما يلي طرف الحرم، وفيها كانت بيعة الرضوان تحت الشجرة.

وخرج إليه سهيل بن عمرو...فصالحه على موادعة عشر سنين على أن ينصرف في تلك السنة، ويأتي في العام المقبل فيخلوا له مكة ثلاثة أيام، فنحر وحلق بالحديبية، وجعلها عمرة وانصرف إلى المدينة.

وكان أمير المؤمنين عليه السلام كاتبه يومئذ والمتولي لعقد الصلح بخطه، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: «أكتب يا علي: بسم الله الرحمن الرحيم».

فقال سهيل بن عمرو: هذا كتاب بيننا وبينك يا محمد، فافتحه بما نعرفه، وأكتب: باسمك اللهم.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين: «امح ما كتبت واكتب: باسمك اللهم».

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «لولا طاعتك يا رسول الله لما محوت بسم الله الرحمن الرحيم»، ثم محاها وكتب: (باسمك اللهم).

فقال له النبي صلى الله عليه وآله: «اكتب: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو».

فقال سهيل: لو اجبتك في الكتاب الذي بيننا إلى هذا لأقررت لك بالنبوة...إمح هذا الاسم واكتب: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «إنه والله لرسول الله على رغم أنفك...».

فقال له النبي صلى الله عليه وآله: «امحها يا علي».

فقال: يا رسول الله إن يدي لا تنطلق بمحو اسمك من النبوة.

قال له: «فضع يدي عليها» فمحاها رسول الله صلى الله عليه وآله بيده، وقال لأمير المؤمنين عليه السلام: «ستدعى إلى مثلها، فتجيب وأنت على مضض».

وذكر أهل السير والتاريخ: أن عمر بن الخطاب قال: ما شككت منذ أسلمت إلا يوم قاضى رسول الله صلى الله عليه وآله أهل مكة، إني جئت إليه فقلت له: يا رسول الله ألست بنبي؟ فقال: بلى، فقلت: ألسنا بالمؤمنين؟ قال: بلى، فقلت له: فعلام تعطي هذه الدنية من نفسك؟ فقال: إنها ليست بدنية، ولكنها خير لك، فقلت له: أفليس وعدتنا أنك تدخل مكة؟ قال: بلى، قلت: فما بالنا لا ندخلها، قال: وعدتك أن ندخلها العام؟ قلت: لا، قال: فسندخلها إن شاء الله تعالى.

وفي رجوع النبي صلى الله عليه وآله من الحديبية نزلت عليه سورة الفتح.

وهناك مناسبات أخرى ذكرناها في السنة السابقة نذكرها بشكل مختصر:

١- ولادة السيد فاطمة المعصومة بنت الإمام موسى الكاظم عليه السلام في الأول من شهر ذي القعدة سنة ١٧٣هـ.

٢- تجديد بناء الكعبة المعظمة على يد النبي إبراهيم الخليل وإبنه إسماعيل (عليهما السلام) بأمر من الله عَزَّ وجَلَّ وذلك في اليوم الخامس من شهر ذي القعدة.

٣- ولادة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، في الحادي عشر من ذي القعدة سنة ١٤٨ للهجرة.

٤- غزوة بني قريظة في الثالث والعشرين من ذي القعدة سنة ٥ هـ.

٥- دحو الأرض في الخامس والعشرين من شهر ذي القعدة وليلتها من الليالي الشريفة التي تنزل فيها رحمة الله تعالى، وللقيام بالعبادة فيها أجر جزيل، ويستحب فيه الصوم، وروي أن صومه يعدل ٦٠ شهراً.

٦- خروج النبي صلى الله عليه وآله إلى مكة لحجة الوداع في الخامس والعشرين من شهر ذي القعدة الحرام من السنة العاشرة للهجرة.

٧- ولادة أبي القاسم، محمّد بن أبي بكر بن أبي قُحافة التيمي (رضوان الله عليه) في الخامس والعشرين منه، في السنة العاشرة للهجرة بذي الحُلَيفة.

٨- شهادة الإمام محمد بن علي الجواد عليهما السلام في آخر ذي القعدة سنة ٢٢٠ للهجرة.

ذكر المرحوم النهاوندي في كتاب (راحة الروح) إن أحد العلماء يقول: إني رأيت في المنام جماعة من الأموات فرحين وكان يمشي خلفهم رجل كبير السنّ وهو حزين، فسألته عن سبب حزنه؟

قال: إن هؤلاء الفرحين يتصدق أهلهم عنهم بالخيرات، وأما أنا فلا أحد يتصدق لي.

قلت له: أليست لك ذرية تتصدق نيابة عنك؟

قال: بلى لي ولد يعمل عند النهر في غَسْل الأقمشة.

يقول العالم لمّا استيقظت من النوم ذهبت إلى النهر، فرأيت ولد المرحوم يغسل أقمشة على حجر وهو يقول: (ضيّق، ضيّق).

سألته : ماذا تعني بهذه الكلمة ؟

قال: إن رزقي ورزق عائلتي ضيّق وقليل.

قلت له: تصدّق لأبيك المتوفى بشيء قليل.

قال: لا أملك من مال الدنيا شيئاً.

قلت: تصدّق ولو بشيء بسيط جداً.

فغضب الشاب مني، فأخذ ثلاثة غرف من الماء وسكبه على جانب النهر، وقال: هيه خيرات لأبي، وليس عندي أكثر منها.

في الليلة الثانية رأيت الرجل في منامي فرحاً مسروراً، سألته: كيف حالك الآن؟

قال: إن ذلك الماء القليل الذي سكبه ولدي تصدقاً لي قد نفعني وأزال حزني وجزعي، أرجو من الله أن يوسّع عليه من رزقه الحلال.

قلت: إن ذلك الماء لم يكن شيئاً ثميناً، ولم يكن قد أروى به عطشاناً، ليأتيك أجره وثوابه!

قال: إنه لما سكب الماء، كانت سمكة صغيرة تلفظ أنفاسها الأخيرة على حافة النهر، فوصل إليها ذلك الماء القليل، وأنقذها من الموت، لأنه اتصل ذلك الماء بماء النهر، فتسلّلتْ السمكة إلى النهر، ولأجل هذا الخير الذي صدر عن ولدي، أكرمني الله تعالى، وأنا أدعو الله تعالى أن يرزقه خيراً في دنياه وآخرته.

يقول هذا العالم: مرت شهور قليلة، فوجدت ولده قد بلغ حد الثراء، وصار من كبار الأغنياء .

اذكروا موتاكم فهم بحاجة اليكم .

قال مولانا الامام الرضا عليه السلام
من زارها عارفا بحقها فله الجنة
بحار الانوار

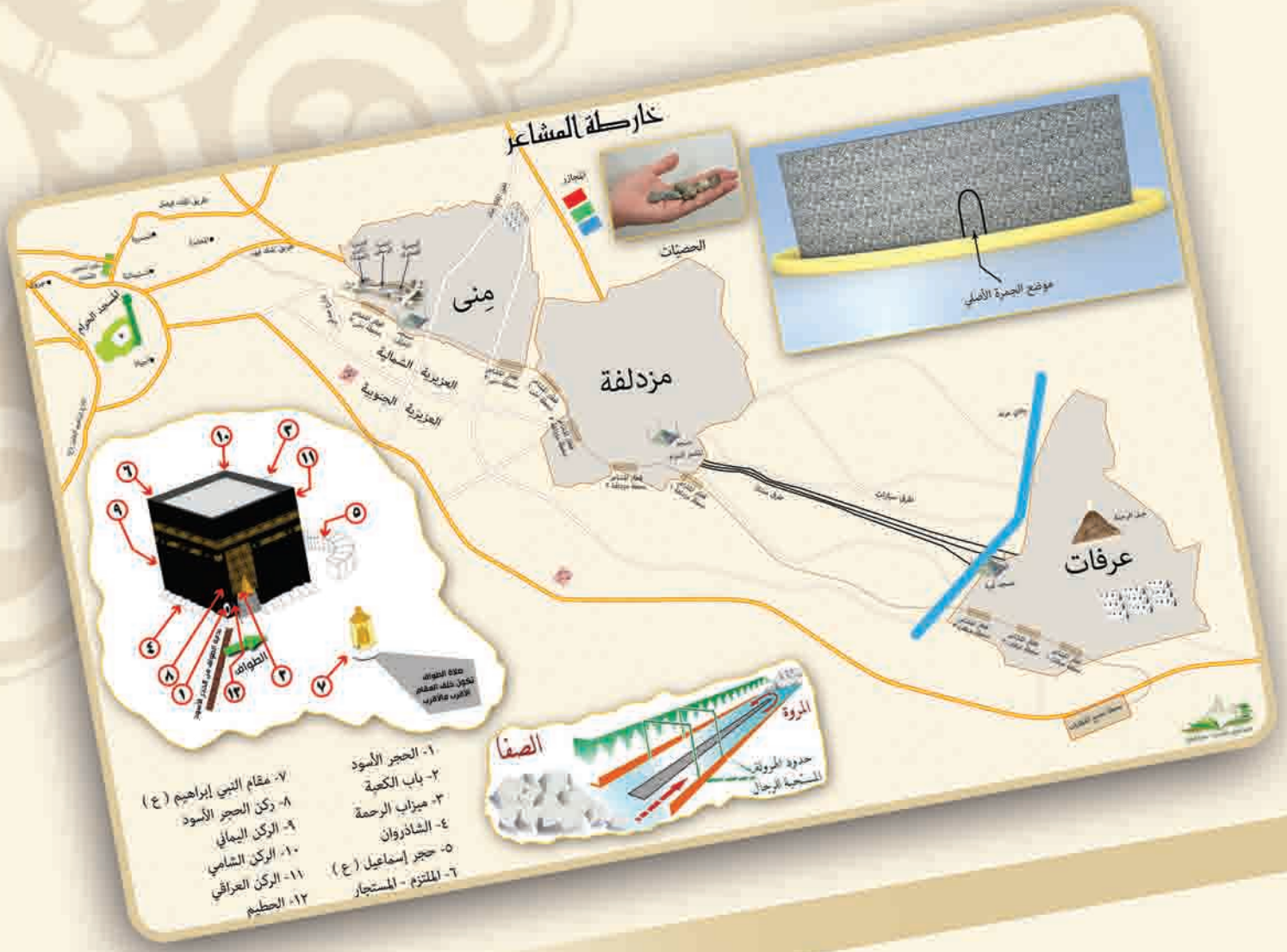

تنويه:

إلى الاخوة مرشدي قوافل الحجاج
سيصدر قريباً مخطط توضيحي للمشاعر.

للتواصل مع شعبة التبليغ مراسلتنا عبر العناوين الآتية

www.imamali-a.com
tableegh@imamali.net
07700554186

قسم الشؤون الدينية / شعبة التبليغ